

بِكَيْرٍ سَعِيدٍ أَعُوْشَتْ

لِإِسْلَامِ الْيَوْمِ

بَيْنَ
الْأَصَالَةِ وَالْتَحْرِيفِ



إسلام اليوم
بين
الأصالة والتحرير

بقلم بكير سعيد أعوشت



إسلام اليوم ، بين الأصالة
والتحريف

- أضواء تحليلية على المدارس
التحريفية والإصلاحية ، والقرآنية
في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

بقلم : بكير بن سعيد أعوش

الاهداء

الى ارواح شهداء فاتح نوفمبر العظيم ،
الذين غيروا مجرى التاريخ الجزائري
ايها الشرفاء لقد سجلت تضحياتكم
بطولات عظيمة ، تذكرنا بأبطال صدر
الاسلام ، حيث تحملتم اقسى انواع التعذيب
والحرمان بصبر واعتزاز وثبات وإيمان
صادر عن عقيدة إسلامية أصيلة لاتلين
إليكم ! وإلى كل شهداء العقيدة
الاسلامية ، نهدي إليهم هذه الصفحات
المتواضعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»

(المائدة : 45)

«أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»

(البقرة : 75)

«فالخسران الذي وعد به الله من يخالف الكتاب والسنة ، وإن كان موجها للمشركين ، إلا أنه من نصيب أهل البدع والضلال في المجتمع الإسلامي» .

الامام عبد الحميد بن باديس

مقدمة :

بسم الله القائل في كتابه الكريم :

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

(الصف : 8 - 9)

نصلي ونسلم على خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ القائل :

«من سئل عن علم فكته ألجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه أبو داود والترمذي .

أخي القارئ الكريم قد تسأل ما الهدف من وضع الكتاب ؟ نحن نقول لك : إن هدفنا من وضع هذا الكتاب الميسر ، هو الإسهام في عرض وتحليل وت نقد التيارات الإسلامية المتباينة التي ظهرت على مسرح الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر مع إبراز وبلورة أصول دعائها ومقدار أصالتها القائمة على الكتاب والسنة ، أو الابتعاد عن هذين المصدرين الأساسيين في التشريع الإسلامي .

ويحسن أن نذكر هنا ، أن أغلب أبناء الأمة الإسلامية لا يفرقون بين المذاهب الأصلية والمذاهب التحريفية ، حتى أصبح بعض منهم يسمون بسلامة وصحة الاتجاه التحريفي بدعوى التطور الحتمي الذي يجب أن تمر عليه المجتمعات الإسلامية ، إلا أن أكثر التطورات والتغيرات قد تؤدي إلى انحلال وانفكاك القيم الدينية والمثل الاجتماعية والأخلاقية ، ولا أدل على ذلك ما يعانيه اليوم العالم الغربي ، والعالم الشرقي من هذه الأزمة رغم التطورات الكبيرة التي سجلت في المجال المادي .

ومن هذا المنطلق ، ينبغي أن ننظر الى موضوعها الجديد هذا ، بنظرة

موضوعية قائمة على خصائص الروح العلمية ، وذلك بتحليل ونقد الحركات التحريفية ، واختبارها تحت المجهر الاسلامي ، مع بيان الثغرات والفجوات ، والممرات الموجودة التي بناها الاستعمار القديم ، والجديد ، لضرب الحركات الإسلامية الأصيلة .

وعلى أية حال ، فإن المدارس التحريفية جاءت لتجديد رسالة الإسلام ، مع طرح مفاهيمها الثورية والانسانية ... الخ ، والواقع أن مقولاتها تتناقض مع أصالة الإسلام الخالد الذي يدعو صراحة إلى حركة تحريرية ثورية تبدأ من عقيدة وسلوك الفرد ومجتمعه ، وتنتهي في محيط العالم الإنساني ، هذه الرسالة لم تمت ولن تموت جذورها في قلب المؤمنين ، لأن الفكر الاسلامي الأصيل في الوقت الراهن لا يزال يتحدى المذاهب الدخيلة ، منذ القديم إلى يومنا هذا .

ومن هنا نقول بكل تأكيد : إن المدارس التحريفية - الأحمدية - البهائية - القاريانية - العلمانية - قد أوجدها الإستعمار بدافع النزعة الإستعمارية ، والاقتصادية ، وروميّ جيلا في أحضانه ، وأغدق عليه كل امكانياته المادية والفكرية للقضاء على أصالة الاسلام ومقوماته الجوهرية من الداخل مع العلم أن هذه الخطة قد لازمتها وساندها تيارات استشراقية ، وماسونية ، وصهيونية ، لخلق الشخصية الإسلامية المزدوجة المرتدة عن أصلاتها ، وبالتالي غرس روح الشك واليأس في سلامة وصلاحية رسالة الإسلام الخالد ، والهدف من كل هذا : هو تعقيم روح الفداء ، والجهاد ، ومسيرة الإسلام القادم في عصرنا هذا باذن الله .

ولا شك أن الكثير منا يعلم أن هذه التيارات ، قد نجحت الى حد ما ، مع الأسف في خلق المدارس التحريفية الهدامة التي تنتسب الى الفكر

الاسلامي ، مع تحريف وتزييف الأصول الثابتة في الاسلام كإزالة مشروعية الجهاد التي نص عليها القرآن الكريم في عدة آيات قرآنية كقوله عز وجل :

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ۝

(النساء : 74)

﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ۝

(النساء : 76)

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ۝

(البقرة : 190)

والحقيقة التي لا مرأى فيها ، أن هناك أنصاف المسلمين الذين يشكون ويشككون غيرهم في سلامة أصالة الإسلام ينحصر في مجال العبادات ولا يتعدى إلى مجال الحياة العامة ، كالعمل والنظم الاقتصادية ، والسياسية ... الخ ، مع بث اليأس والتشاؤم واجترار الماضي المظلم ، إلا أن هذه الدعوة أصبحت الآن واضحة تنفذ من قبل أنصار المذاهب الرأسمالية والشيوعية التي تستهدف التحكم الفعلي في زمام العالم الاسلامي ، وما أزمة الشرق الأوسط ، ومأساة أفغانستان ، ولبنان ماهي إلا حلقة من حلقات الصراع بين الإسلام والتيارات الدخيلة على الأمة الإسلامية ، وهذه الأمة لن يتحقق لها وجود فعال ومؤثر على السياسة الداخلية والعالمية ، إلا إذا طبقت عقيدتها تطبيقا عمليا صادرة عن كتاب الله الكريم وسنة الرسول العظيم محمد ﷺ .

إن العالم الإسلامي يواجه اليوم ، هجمة عالمية مدبرة تستهدف زعزعة إيمان المسلمين والتراث الإسلامي لا سيما التاريخ الذي يعد العامل الجوهري الهام في بناء الشخصية الإسلامية فإن خسر المسلمون إيمانهم وتاريخهم خسروا كل شيء .

ويحسن أن نذكر هنا ، أن هذه الدراسة الميسرة سوف تكشف أسس المدارس التحريفية التي ادخلت في دائرة الفكر الاسلامي عن طريق المستشرقين وتلامذتهم المسلمين الذين تعلقوا بالحضارة الغربية وانغمسوا فيها دون التمييز بين الطيب والخبيث دراسات مستفيضة جدا ، ولكن رغم هذا فقد جازفنا بهذا الموضوع الجديد وفضلنا الإيجاز مع الوضوح لتكون الفكرة واضحة قدر الامكان أمام القارئ الكريم ، مع استجلاء عناصر هذه المدارس الفكرية ، والوقوف على أصولها وتحليل مقولاتها الأساسية تحت المجهر الاسلامي ، واننا نأمل أن هذا الكتاب سيساهم في اثراء المكتبة الاسلامية ، ويكون رائدا للقارئ المسلم ليميز به الخبيث من الطيب ، ويدرك مواطن المغالطات وعللها بفكر ناقد يقوم على الموضوعية بالدرجة الأولى .

وبالله الهداية والتوفيق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل والرشاد .

بكير بن سعيد أعوش

غرداية 01 / 01 / 1984م

الفصل الأول

الإسلام أمام تحديات الحركات الهدامة

أ - الحركة الماسونية

ب - الحركة الصهيونية

ج - الحركة الاستشراقية

تمهيد :

الإسلام أمام تحديات الحركات الهدامة :

بعد أن تحدثنا في المقدمة عن المظاهر العامة لظهور المدارس التحريفية ، من حيث طبيعتها وأهدافها ، وبعض السمات عن خصائصها ، فإنه يجدر بنا في هذا المقام أن نتحدث عن العوامل الأساسية التي مهدت الطريق أمام ظهور المدارس التحريفية - العلمانية - البهائية - القاديانية - العلمانية .

وفي حديثنا عن هذا الجانب الخطير ، لا بد لنا أن نبين أهم الحركات الهدامة التي تستهدف تحطيم دعائم الإسلام المتمثلة في الحركات التالية :

1 - الحركة الماسونية .

2 - الحركة الصهيونية .

3 - الحركة الاستشراقية .

فن غير شك ، أن ظهور التيارات التحريفية التي سندرسها معا في الفصل القادم بحول الله ، لا يمكن فهمها وإدراك أهدافها البعيدة إلا بارجاع بنيتها الأولى الى هذه الحركات الساعية إلى إذابة الفكر الإسلامي الأصيل ، وإخراج المسلمين من حياتهم الثقافية الجوهرية النابعة من القرآن الكريم ، ثم التشكيك في رسالة الرسول ﷺ ، وغرس شبهات وأفكار متناقضة في القرآن الكريم ، والدعوة الصريحة إلى أن محمدا ﷺ لم يكن خاتم الأنبياء والرسل ، وأن رسالته ماتزال غير كاملة في هذا العصر الحاضر الذي هو في حاجة إلى رسول موحى إليه من الله ليجدد الرسالة السماوية على حسب تطورات المجتمع الانساني الحالي كما تزعم المدرسة البهائية والقاديانية .

ومن الجدير بالذكر أن المدارس التحريفية تعود أصولها إلى قاعدة الحركة الهدامة التي كانت مدخلا لها . ومن هذا المنطلق المنطقي يحسن بنا أن نقوم بتحليل الفكر الماسوني أولا : لأنه يعد أقدم من الفكر الصهيوني والاستشراقي معا .^١

أ - الماسونية مؤامرة على الاسلام .

1 - مدلول الماسونية وتاريخ نشأتها :

مدلول الماسونية : أصل المعنى لإسمها هو «البناء الحر» - أما أنصار هذه الفكرة فيطلق عليهم أنصار البناء الحر الذين يؤلفون جمعيات سرية (١) ، أوجدتها اليهودية قديما لاحتواء الدين المسيحي والدين الاسلامي خصوصا .

1 - انظر : كتاب الآداب الماسونية لمكاريوس ص 1 .

تاريخ نشأتها :

وقد ذهب المفكرون في تاريخ نشأتها مذاهب شتى ، فبعضهم يرون أنها أنشئت في هيكل سليمان⁽¹⁾ ، أما الآخرون فهم يرون أنها أنشئت في أحضان الجمعيات السرية عند الكهنة المصريين والهنود واليونانيين ، وجدير بالذكر أن الفلسفة الماسونية تستمد أصولها من تعاليم اليهودية ، لأن أغلب مفاهيمها ومقولاتها تعود إلى الفكر اليهودي الذي يحاول الهدم والقضاء على المسيحية والاسلام ، وقد جاء في محاضرات محفل الشرق سنة 1923م ما يلي :

«يجب أن تبقى الماسونية الملحة الواحدة وعليه يقتضي نحو جميع الأديان وتابعيها»⁽²⁾ . وحسبنا أن نذكر أن تاريخها الأول لم يعرف إلى حد الساعة ولكن من الراجح أن تاريخها حدد على التقريب في سنة 1353هـ قبل الميلاد ، وظل أعضاؤها يمارسون طقوسهم الهدامة - ولقد جاء في كتابهم الآداب الماسونية مايلي :

(1) بنى سليمان الهيكل الأول من سنة 1013 إلى 1006 ق.م ، على ذروة جبل صهيون ، وهذا المعبد يشبه المعابد الفنيقية ، والمصرية ، فلم يبق من آثاره إلا الجدران . فاليهود يتبركون بهذه الآثار ويتحرون على مملكتهم التي شيدها داود وسليمان ، وهم يحاولون بناء هذا المعبد على حساب حق الشعب الفلسطيني .

(2) انظر الهلال : يونية 1977 - ص 28 .

وعلى مقربة من اثينا قيل انها نشأت الجمعية الألوسية نسبة إلى الؤسس من مدن اليونان عام 1356 ق.م ، وظل أعضاؤها مدة طويلة يلقنون الأسرار للطالبين على الطريقة الماسونية إلى عام 396 بعد المسيح حينها هاجم البلاد الريك الظالم ، وخرب هياكلها ودرس رسومها . وتفرقت الماسونية من روما إلى أقطار العالم فذهب أعضاؤها إلى كل مكان ينون في الأرض المباني الكبيرة ويشيدون في نفوس معاصريهم حرية الضير والغيرة وحب الخير والاحسان (1) .

2 - ملاحظة لابد منها :

ان عدم ضبط تاريخ ميلاد هذه المدرسة ، وزعامتها بالتدقيق ، لاشك أنها توحى فينا روح الشك القوي حول مبادئها التي تزعم أنها جاءت لخدمة الإنسانية ، ابتغاء الفضيلة ، والتسك بالقيم الأخلاقية ، والسعي نحو الخير الأسمى لتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمعات البشرية المختلفة المشارب والأديان . وحسبنا دليلا أن تقول : ليس من المعقول ولا من الوقائع التاريخية أن تؤسس مدرسة عالمية في فلسفتها منذ مئات القرون الى العصر الحديث والمعاصر بدون أن تضبط رجالاتها وأسائها وحياتهم الفكرية وعلاقتهم بالمجتمع الذي يعيشون فيه ففي هذه الحالة الشاذة الغريبة ليس لنا إلا أن نتهم هذه المدرسة الماسونية بمبادئها وشعاراتها الهدامة التي تستغل القيم الأخلاقية والتستر وراء الشعارات الخادعة لخدمة الفكر اليهودي الذي يأخذ بالمبدأ الميكيا فيلي «الغاية تبرر الوسيلة»

ومن هذا المنطلق رفعت شعارها المعروف - الحرية والاخاء ، والمساواة

(1) كتاب الآداب : الماسونية لشاهين بك مكاريوس / ص 05 - 06 .

- ولعل من الأفضل أن نأخذ بعض النصوص من دستورها الذي استغلت فيه عاطفة الانسانية لخدمة أهدافها الهدامة ، فتأخذ الذئب لتصيره حملا ، والشيطان فتصيره ملكا .

3 - الدستور الماسوني مؤامرة على الانسانية :

إن الماسونية تزعم أنها جاءت لاصلاح السرائر الانسانية وذلك ببث الفضيلة الأخلاقية والعمل بها . وحسبها دليلا على ذلك التقيد بدستورها ، ونحن نورد بعض النصوص منه ، والتي سنناقشها .

يقول شاهين بك ماكريوس في كتابه الآداب الماسونية مايلى :

«أما دستورها الأدبي الذي يسير الماسون بموجبه فنه يظهر فساد دعوى القائلين بهذه العشيرة» .

ولذلك نشرنا منه مايتأتى :

1 - قدم العبادة والإكرام لله مدبر الكائنات ومبدع الموجودات .

2 - حب قريبك .

3 - لا تفعل شرا .

4 - اعمل الخير .

5 - لا تكثر لكلام الناس في الواجب عليك .

6 - اتبع قواعد ديانتك واحترم ديانة الآخرين فإنهم متساوون أمام

الله ، وطاعة الله الحقيقية تقوم بممارسة الانسان الأخلاق الجيدة .

وجاء في المادة 35 و36 مايلى :

احترم الحكومة واخضع للشرائع ولا تدخل في مؤامرة بل إذا مست

الحاجة فقدم للحكومة الحاكمة المساعدة والعضد . تجنب المجادلات في أمر

الدين والسياسة لكي تحفظ العلاقات المرتبط بها النوع الانساني(1) .

(1) إن الدستور الماسوني يحتوي على أربعين مادة ونحن أخذنا مابه الحاجة .

4 - اعتراض ونقد :

وحسبنا أن نذكر هنا ، أن هذه القيم المثالية التي تزعمتها المدرسة الماسونية ، ماهي في الواقع التاريخي إلا دموع التماسيح .
وفي اطار هذا المناخ المثالي ، ترى لماذا الصراع بين أبناء البشر والأديان مادام الخالق واحدًا ، وعنايته بمخلوقاته واحدة ، وأهداف الأديان الثلاثة واحدة ؟ ! .

حسبها أنها تتحد في جوهرها وأصلها وغايتها ، في معرفة الله معرفة يقينية ، والسعي وراء الأخلاق الحميدة وتحقيق الاخاء بين البشر ، وتطبيق شريعته العادلة على المجتمعات البشرية قاطبة .
إذن فلا معنى للصراع بين الأديان الثلاثة والنظم السياسية ، وعلينا باحتمال النوازل مهما كانت بدون تدمير ، مع الرضاء في كل مكان وفي كل حال على حالاتها .

لا شك أن هذه الأفكار تؤدي الى شل ارادة المسلم ، والاستسلام للأوضاع الجائرة وتبريرها وغرس فيه روح التواكل والتسبب ، غير أن الإسلام يأمر الانسان بتغيير وضعيته الاجتماعية كقول الله عز وجل :
«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» .

(الرعد : 11) .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا قضية أخرى لها ارتباط جوهري بالوقائع التاريخية التي تؤكد لنا أن سرّ الوجود هو الصراع بين الخير والشر وبين القوي والضعيف ، هذه حقيقة ثابتة لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال ، وقد صدق المثل العربي حين قال : «ما أشبه الليلة بالبارحة» .
ولا أدل على ذلك من المجازر الرهيبة الدموية التي تقع بين أفراد الأمم نتيجة التعصب الديني والسياسي والثقافي في المجتمع الانساني الى يومنا هذا .

من هذه الحقيقة الثابتة نستطيع أن نقول : منذ القديم قام المتعصبون بإبادة مخالفهم من الوجود كما فعل الأسبان المسيحيون بمسلمي الأندلس حين أقاموا محاكم التفتيش الصليبية .

أما اليوم فلا يختلف الأمر عن الماضي ، حيث يواصل الاستعمار الرأسمالي والشيوعي والصهيوني في محاربة مسلمي العالم ولا سيما في الأراضي الفلسطينية ، وفي هذه العجالة لا ننسى الصراع الجهني الدائر بين أبناء أفغانستان المجاهدة والقوة الشيوعية الحاكمة على الاسلام لدليل آخر ؛ على أن الصراع سيقى مادام الانسان تتحكم فيه نزعات الخير والشر ، ولقد أشار الله عز وجل الى هذه الحقيقة في قوله تعالى :

﴿ونفس وما سواها . فأنهها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها .
وقد خاب من دساها﴾ .

(الشمس : 7 - 10) .

وقال تعالى في سورة يوسف :

﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ .

(يوسف : 53)

وما تجدر ملاحظته هنا إلى الطبيعة البشرية التي لا تختلف عن ماضيها في جوهر أهدافها وإن كانت الوسائل والمظاهر تختلف فقط ؛ بسبب التطور .

ولقد أشار العالم الكبير ابن خلدون الى هذه الحقيقة التاريخية في قوله :
«إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، والانتقال من حال إلى حال ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار ، فكذلك يقع في

الآفاق والأقطار والأزمنة ، سنة الله التي قد خلت في عبادته»(1).

5 - الماسونية والدين

إن علاقة الماسونية بالأديان من القضايا الأساسية التي يجب البحث فيها ، فلا بد من إيضاح هذه الفكرة ، إذ أن الماسونية تدعي أنها خادمة الأديان الثلاثة ، وأنها تسعى جاهدة إلى توحيدها مادامت صادرة عن الله عز وجل ، ولقد جاء في كتاب الآداب الماسونية مايلي :

ارعوا في اسماعكم أيها الاخوة فربما يشكك على بعضكم ما أقصده ، ويظن بي الطفرة ، وتجاوز حد المتبادر إلى الذهن . إلا اني أسألكم عن اخوانكم في سائر المحافل من أي ملة هم ، ومن أي المذاهب من بين تلك الملل ، أفليس من ضمن حوطة جمعيتنا افراد من سائر الملل والنحل أو ليس ها بين اخواننا من المسلمين ، والنصارى واليهود ومن كل نخلة ومذهب من أهل هاته الأديان الثلاثة ، بل ألا يؤذن دستوركم المقدس أيضا بقبول أفراد في أخويتكم ممن قد لا تعرفون شيئا عن معتقداتهم واختلافاتهم المذهبية اذ أقروا بوجود الباري تعالى أو ليس جميعهم سواء في أخويتكم لا فضل لأحد منهم إلا بما يحسنه من غير نظر إلى أصل دينه ومفترق نخلته .

فإن كان الأمر كذلك أفلا تكون الماسونية إذن خادمة للدين ومن أعظم الأسباب لامتداده وبالتالي توحيده(2).

في ضوء ماسلف ذكره ، وما أشير إليه من ملاحظات نقدية سابقة ... يمكن أن نقول : لا يحق لنا في أي حال من الأحوال أن نتخذعنا للشعارات المثالية التي تدعها وتؤكدها الماسونية ، بأن الحرية الدينية في نظرها

(1) انظر : مقدمة ابن خلدون ص 22 .

(2) انظر : كتاب الآداب الماسونية ص 28/26 .

أسست على صحة المبادئ وحسن الغايات القائمة على المساواة والاخاء بين الأديان الثلاثة لتوحيدها .

6 - الماسونية جليفة الصهيونية

وحسبنا أن نقول هنا : إن الماسونية هي مرآة للفكر الصهيوني الذي يستهدف القضاء على جوهر الإسلام .

ثم إن الحملة المضادة على الإسلام ليست مقصورة من طرف الفكر الماسوني فقط ، بل إن هناك حرب فكرية سافرة على الصحة الإسلامية في روسيا وأوروبا والهند وإفريقيا ، ولقد كتبت في هذا المجال مجلة الهدف الكويتية مايلي : المسلمون مضطهدون في المانيا الغربية ، وقد أصدرت الحكومة الألمانية قرارا يقضي بعدم السماح للبنات بارتداء الزي الإسلامي ، وذلك بحجة حل المشاكل التربوية الناشئة عن تساؤلات الأطفال الألمان عن هذا الغطاء ، واستدلت الحكومة قرارها هذا ، بما حدث في تركيا من منع ارتداء غطاء الرأس (1) .

أما بالنسبة لمذابح المسلمين بولاية آسام ، نشرت مجلة انديا توداي - الهند اليوم - مايلي :

وجه الصحافي «اردن شوري» الاتهام إلى السيدة أنديرا غاندي وحكومتها على المذاهب التي أبادت القرى وقضت على عدة آلاف من المسلمين .

وقال الصحفي في تقريره : إن أحد المسؤولين من الشرطة المحلية في الولاية أرسل رسالة إلى المسؤولين قبل المذبحة بثلاثة أيام أوضح فيها أن أكثر من خمسة عشر ألفا من الشيخ يحاصرون القرى الإسلامية ويلوحدون

(1) انظر : منار الإسلام ص 127 . العدد الحادي عشر السنة الثامنة . ذو القعدة

بأسلحتهم على دقائق طبول الحرب ، وأن الحكومة رغم هذا التحذير لم تتخذ أية اجراءات لحماية المسلمين (1) .

7 - الماسونية حليفة الشيوعية :

أما بالنسبة الى النزعة الشيوعية : فهي لا تختلف عن النزعة الماسونية ، فقد حاربت الاسلام في الجمهوريات الاسلامية بروسيا ، بل ان الاسلام تراه سلاحا في أيدي الطبقات المستغلة ووسيلة للتخدير على حد زعمها .

ومن الجدير بالذكر ، ان السلطات الشيوعية هنا قد قامت بتعقيم ومهاجمة المسلمين والخطباء والأئمة ، وحولت المساجد والمدارس القرآنية ، إلى صarach ، وأندية ، ومؤسسات اقتصادية ، إلا أن الاضطهاد بلغ درجته القصوى في الجمهوريات الإسلامية - القرم - آسيا الوسطى ، خلال سنة 1938م ، وذلك بحرق نسخ القرآن الكريم ، والكتب الدينية ، واضطهاد علماء الدين وقتلهم ، أو نفيهم إلى سبيريا ، ومما زاد للطين بلة ، حين عمد الحزب الشيوعي إلى تأسيس جمعية «لا إله» في سنة 1925م وكان هدفها الأساسي محاربة الإسلام بالدرجة الأولى في عقر الديار الإسلامية (2) .

إن توحيد الأديان على حساب الإسلام مؤامرة ماسونية :

لقد تناول كثير من الكتاب ، في هذه الآونة الأخيرة الأديان الثلاثة ، الإسلامية - المسيحية - اليهودية . من زوايا مختلفة في كتاباتهم ، إلا أن هذه الدراسات ، تستهدف وتدعو إلى الحوار والاعتراف بشرعية صلاحية الإسلام والمسيحية واليهودية ، ولقد ادعت هذه الدراسات الاكاديمية أنه ليس هناك خلاف جوهري بين هذين الأديان ، وإن الخلاف قد

(1) العدد السابق : ص 129 .

(2) انظر : المسلمون أمام التحدي العالمي : ص 97 .

حصل في مجال الفروع فقط .

والحقيقة أن هذه الدعوة تحمل في طياتها مغالطات تبشيرية تستهدف التقليل من قيمة أصالة الإسلام وترسيخ اليهودية والمسيحية في العالم المعاصر حين عجزتا عن إيجاد الحلول الملائمة لمشاكل الحياة اليومية . ومهما يكن من أمر فإن العالم الأوروبي والأمريكي أصبحا يدرسان بكل اهتمام أصول الإسلام وادركا سره الذي يجمع بين الروح والمادة ، ويرفض الوساطة بين الله والعبد كما هو الشأن في المسيحية ، فهذه الظاهرة هي التي أقلقنا المسيحية فعندئذ رغبت في التقرب من الإسلام ، ويجدر بنا أن نقول إن هناك اختلافا أساسيا بين الإسلام والمسيحية التي تقر بفكرة التثليث أي الأقانيم الثلاثة : الأب ، والإبن ، والروح القدس .

ولقد آمن المسيحيون بهذه العقيدة ، فاعتقدوا أن التثليث لا يتناقض مع وحدانية الله في جوهره ، وهذه الصفة كافية أن تجعل حدا فاصلا بيننا وبينهم ، فنحن نعتقد ونؤكد أن الله واحد في ذاته وصفاته وأن ذات الله وصفاته شيء واحد ، لا جنس له ولا نوع له ولا فصل له ولا ندله ولا يشاركه في الكمال المطلق اللانهائي أي شيء والله تعالى يقول :
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

(الشورى : 11) .

والفكر الاسلامي يرفض كل تيارات الاتحاد والتشبيه سواء كانت مادية أو دهرية أو يهودية أو مجوسية أو تجسيمية أو فيضية أو حلولية .
إنطلاقا من هذا النسب الجوهرى : أي التوحيد الخالص الواضح الذي يجعل مقولات الإسلام تتناقض مع التثليث المسيحي . ولقد ورد في كتاب الآداب الماسونية مايلى :

فقد أطلقنا الحرية لكل من افرادنا أن يعتقد بما يراه ، يؤمن به على ما يحكم به عقله ويلهمه به ضميره مما هو وراء من مبادئنا الأولية ؛ فلا تغضب الموسوي على الاعتقاد والتسليم بإتيان المسيح ولا المسيحي على التسليم بنبوة محمد ولا نوجب على المسلمين الاعتقاد بالتثليث كما أننا لا نوجب على أبناء المذاهب المختلفة من ملة واحدة أن يعتقد أحدهم ما تنكره عليه مبادئ مذهبه وتعاليمه المسلم بها عند مجتمع أفراد نخلته (1) .

من خلال هذه الفقرة التي استشهدنا بها ، وماتقدم يتأكد لنا أن الدعوة إلى الحوار الأخوي والتسامح ما بين الأديان السماوية يقصد به إذابة الذاتية الإسلامية وتحطيم الفوارق الجوهرية بين الإسلام والأديان الأخرى .

فالإسلام جاء مكللا الأديان السابقة مع الاعتراف برسائله العالمية الخالدة ، إلا أن أصحاب الأديان الأخرى قد حرفوا وزيفوا رسالة محمد ﷺ ولا سيما الجمعية الماسونية التي حاولت وأد الدين الإسلامي ولا أدل على ذلك ما رواه لنا يوسف الحاج (2) الذي فضح دسائس الماسونية في كتابه «سبيل الحق» فشرح لنا بعض طقوسها وشعاراتها في النقاط التالية :

1 - يسمى الماسون الرمزيون المكان الذي يجتمعون فيه محفلا أو هيكلًا رمز للكون الذي هو هيكل بينما الملوكيون يرمزون به إلى هيكل سليمان الذي يرى فيه اليهود شعار وطنهم القومي .

(1) - انظر : كتاب الآداب الماسونية . ص 24/23 . لكاربوس .

(2) يوسف الحاج أحد أعضاء الجمعية الماسونية المصرية . ولقد وصل أعلى مراتبها ولكن تبين له أنها جمعية صهيونية تعمل على تحطيم الإسلام . فتاب ورجع إلى ملة الإسلام .

2 - يستعمل الماسون النور رمزا إلى نور العقل الإنساني ، أما الملوكيون فيرمزون به إلى النور الذي كان يتجلى فيه لسيدنا موسى وإلى عمود النار الذي رافق بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر .

3 - يرمز السيف في الماسونية العامة إلى الجهاد في سبيل الحق والعدل والحرية ، أما الملوكيون فيشيرون به إلى السيف الذي كان يحمله بنو إسرائيل دفاعا عن أورشليم عندما كانوا يبنون الهيكل والسور للمرة الثانية بعد رجوعهم من سبي بابل .

4 - البناية الحرة هي نفس هيكل سليمان في عرف الملوكيين ، بينما يعتبرها الرمزيون علما إنسانيا يتقدم فيه الإنسان تدريجيا (1) .

خلاصة الفكرة :

في ضوء هذه الدراسة ، يظهر لنا الدور الخطير الذي لعبته الحركة الماسونية في الماضي والحاضر في الخطيرة الانسانية باسم القيم الانسانية والأخلاقية ، ولقد أضحت تعاليمها وغاياتها ترمي إلى إعادة وتأسيس ماضي المملكة اليهودية في الأراضي الفلسطينية باسم القومية الإسرائيلية ، ثم إعادة بناء هيكل سليمان الذي يحمل رمز القومية اليهودية في القدس الإسلامية .

وهكذا أصبحت الماسونية أخت الصهيونية التي تعمل جادة على إعادة بناء دولة إسرائيل الكبرى التي تمتد من النيل إلى الفرات .

وأخيرا فقد تأكد لنا ، أن الفكر الماسوني في نشأته وتطوره مرتبط ارتباطا عضويا بالتراث اليهودي القديم والحديث ، ولم يبتعد عنه إطلاقا .

(1) انظر : الهلال - يونية 1977 م . ص 38 .

ولزيادة الأمر وضوحا وتبسيطا يشترط علينا أن نبين جذور الحركة الصهيونية وارتباطها بالحركات التحريفية والإستعمار الذي أوجدها وغذاها في العالم الإسلامي ، باسم الحرية ، والإخاء ، والمساواة .

ب - الحركة الصهيونية :

1 - المقدمة :

الهدف من هذه الدراسة الموجزة هو الاسهام في بيان جذور هذه الحركة الصهيونية التي هي أخت الإستعمار الصليبي .
فكثير من الناس من يسمع ويستعمل كلمة الصهيونية بدون أن يضبط تعريفها تعريفا كافيا مع بيان علاقتها بالإستعمار والحركة التحريفية .
ونود أن نبدأ التحليل من الجانب التاريخي الذي يعد عاملا حاسما في الفلسفة الصهيونية فاعتمدت عليه في تبرير وجودها في الأراضي الفلسطينية .

2 - عروبة فلسطين :

إن الحقائق التاريخية التي أثبتت أن العرب قد سكنوا فلسطين قبل اليهود (1) ، وبينت أن بعض القبائل الكنعانية قد استوطنت أرض فلسطين حوالي 3000 سنة ق.م ، أما بالنسبة إلى مدينة القدس فكانت تسمى قديما - بأوروسالم - أي مدينة السلام ، التي شيدتها القبيلة اليبوسية التي تنتمي إلى الكنعانيين .

(1) اليهود : يسمون بالعبرانيين أو الإسرائيليين نسبة إلى أسباط إسرائيل ويبدأ تاريخهم عادة بمصر حيث عاشوا في الشمال الشرقي المصري كرعاة حيث لاقوا النذل ، إلى أن خرج بهم موسى من مصر إلى أرض الميعاد .

وإن اليهود لم يستوطنوا الأراضي الفلسطينية إلا في سنة 1189 ق، م .
حين غزاها يشوع بن نون (1) .

وفي سنة 1049 ق، م . بنى داود عليه السلام دولته وحول الشعب اليهودي من الحياة الرعوية القبلية إلى دولة تميزت بخصائص الحضارة فاتخذ القدس عاصمة لحكمه ثم ورثه ابنه سليمان حكمه بعد وفاة أبيه داود عليه السلام (2) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الله خلاص اليهود من الطاغوت الفرعوني ،
حين أمر الله موسى عليه السلام بالخروج من مصر فانطلق ببني جنسه ليلا
قاصداً فلسطين ، ولقد بين الله عز وجل هذه الحقيقة التاريخية في قوله
تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ . فَأَرْسِلْ فِرْعَوْنَ
فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ .
وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ . فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ . كَذَلِكَ أَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

(الشعراء : 52 - 59) .

وفي سورة المائدة يقول الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ
أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مِلُوكًا وَأَتَاكُمْ مَالٌ يُؤْتِي أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . يَا قَوْمِ ادْخُلُوا

(1) يشوع بن نون : خادم موسى وخلفه ، حيث أدخل العبرانيين أرض فلسطين .

(2) راجع : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية لعبد الله التل . ص

الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون ﴿١﴾ .

(المائدة : 20 - 21 - 22)

إن هذه الأدلة القرآنية القاطعة تكفي أن تفند مزاعم الحركة الصهيونية القائلة بأن العبرانيين قد سكنوا فلسطين قديماً قبل العرب ، وإن العرب جاءوا بعد الفتح الإسلامي كغزاة .

3 - مدلول الصهيونية - تاريخها وأهدافها

الصهيونية تنتسب إلى صهيون ، وهو الجبل الذي قامت عليه القدس القديمة ، وقيل كذلك الحصن الذي احتله داود عليه السلام وأقام حوله مملكته المسماة صهيون (1) .

هدف الصهيونية

إن الصهيونية تستهدف ترحيل كل اليهود من أقطار العالم إلى فلسطين واستعادة مملكة داود البائدة وإحياء عاصمة صهيون على حساب حق الشعب الفلسطيني والإسلامي .

لقد تطلعت المنظمات الصهيونية إلى فلسطين لتكون النواة الأولى في أطباعها التوسعية ولاسيما حين أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور في 2/11/1917م ، والذي وعدت فيه الصهيونية العالمية بالمساعدة على إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

(1) راجع : المدخل إلى سياسة إسرائيل الخارجية للسيد نوفل ص 29 .
راجع : خطر اليهودية العالمية ص 15 / 16 .

ولا شك أن وعد بلفور قد شجع اليهود إلى الهجرة الجماعية إلى فلسطين ، حيث بدأت الصهيونية تدفع اليهود إلى فلسطين مع تقديم المساعدات المادية الضخمة التي مولها منذ البداية كبار الرأسماليين اليهود أمثال روتشيلد والبارون دي هرثر ... الخ (1) .

وفي ضوء هذا يظهر الدور الذي لعبته الحركة الصهيونية في التمهيد لنشأة الدولة الصهيونية التي برزت إلى الوجود في 14 مايو 1948م ، مع العلم أن العرب كانوا في عام 1917م يشكلون 92% من سكان فلسطين ، وإن عدد اليهود كان 57,000 فقط (2) ، إلا أن الجزء الأكبر قد دخل إلى فلسطين بعد قيام المنظمة الصهيونية العالمية التي تحالفت مع الرأسمالية والشيوعية ولا أدل على ذلك من قرار التقسيم الذي صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1947/11/29م في حق الشعب الفلسطيني .

لمحة عن نشأة الحركة الصهيونية :

يرى بعض المفكرين أن الحركة الصهيونية تعود إلى تيودور هرتسل الذي يعد زعيماً للمدرسة الصهيونية ، والذي عاش في العصر الحديث ، إلا أن المصادر التاريخية تعكس هذا المفهوم الشائع بحيث أن أمرها يعود إلى العصور القديمة ، والتي مرت بعدة أدوار حاسمة أهمها .

(1) انظر : نزعات متأصلة في الحركة الصهيونية ص 3 - 6 لمنذر عنبتاوي .

(2) راجع : نزعات متأصلة في الحركة الصهيونية لمنذر عنبتاوي ص 4 - 5 .

1 - حركة المكابيين التي ظهرت في القرنين الثاني والأول ق ، م ، وكان هدفها الأول استرجاع القدس وبناء هيكل سليمان من السلطة الهيلينية ، وكَوّن اليهود جيشا سريا وقام بحرب العصابات في تلك الفترة .

2 - أما في العصر المسيحي القديم ، فقد كانت هناك الحركة الباركوخية التي ظهرت (117 - 138م) وكان بركوخيا يدعو قومه إلى تأسيس الدولة الإسرائيلية ، وتنصيب ملك من نسل داود وطلب من يهود العالم بالتوجه إلى فلسطين .

3 - أما في العصر الوسيط فقد مثل النزعة الصهيونية أحسن تمثيل منشأة بني إسرائيل (1604م - 1654م) وكان ذاعلاقة مع الاستعمار البريطاني ، وهذه الحركة كان هدفها الأول توطين اليهود في بريطانيا ثم ترحيلهم إلى فلسطين .

4 - العصر الحديث ، ونود أن نلفت النظر في هذا العصر إلى الحركات اليهودية التي ساندت نابليون ماديا ومعنويا سنة 1806م ، لغزو الشرق الأوسط . ووعد اليهود بإعطائهم فلسطين ، مع العلم أن نابليون كان يعد من أنصار الحركة الماسونية العالمية (1) .

5 - الحركة الهرتسلية وأثرها في الصهيونية المعاصرة :

إن التعريف بشخصية تيودور هرتسل هي في نظرنا إحدى اللبنيات الأساسية للحركة الصهيونية المعاصرة .

ومن هنا نعتبر حركته من أهم الحركات وأخطرها في تاريخ الصهيونية المعاصرة ، ولكن من هو هذا الرجل الذي أثر بدون منازع في هذه الحركة الهدامة .

(1) راجع خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص 157 .

أ - حياة هرتسل :

ولد تيودور هرتسل في 2 مايو 1860م في بودابست ، ونشأ في العصر الذي كان اليهود يتمتعون بحقوقهم المدنية والسياسية . ولقد تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مسقط رأسه ، ومما يلاحظ عليه في هذه المرحلة أنه لم يلتحق بأية مدرسة دينية يهودية ، ولكن في هذه الحالة لا يجوز لنا أن نهمل أثر محيط الحياة العائلية على حياة الطفل فلها تأثير قوي على مستقبل شخصية الإنسان ، فلما بلغ الثامنة عشر من عمره رحلت عائلته إلى فيينا ، حيث دخل كلية الحقوق ، فبعد تخرجه من التعليم الجامعي اشتغل في ميدان الصحافة فاحتك بالتيارات اليهودية وأثر وتأثر بميولاتها ، وبدأت الفكرة الصهيونية تختبر وتتأصل في سلوكه وعقيدته فظهر هذا الاتجاه جليا في كتابه - دولة اليهود - الذي أصدره عام 1896م .

ولقد تجشم كل العقبات في سبيل فكرته سالكا كل الوسائل مهما كانت وعورتها لانشاء الدولة الصهيونية ، ويعد هرتسل في نظر الصهيونية الأب الروحي والمؤسس الحقيقي لفلسفتها ، ولعل من المناسب أن نورد الفكرة التالية التي كتبها الأستاذ عبد الوهاب المسيري ، التي توضح لنا شخصية هرتسل وأهدافها البعيدة وجاء فيها مايلي :

كان هرتسل الديمقراطي الغربي يتحرك من مكان إلى مكان حاملا على كتفيه يهوديته وفي عقله آلاف الأساطير اليهودية خاصة أسطورة العودة وأسطورة الأمة المرتبطة بالأرض رغم شتات آلاف السنين ، إن شعار اليهودية ، هو لنلتقي العام القادم في أورشليم ، وهو في هذا لا يختلف عن أي حاخام من الحبشة ، لأن الأسطورة تسيطر عليه تماما ، وهي تظهر بين سطور كتاباته وفي كلماته وأحاديثه فهو مثل كل صهيوني يعتقد أن له علاقة ميتافيزيقية بأرض الميعاد يحملها في قلبه أينما سار ولهذا فهو دائم

الحنين إلى العودة (1) .

وفي إطار هذا المناخ الصهيوني ، يمكننا أن نقول : إن روحه المثالية المفرطة وإخلاصه الكلي المرتبط بأسطورة العودة إلى أرض الميعاد زعمته أن يرأس المؤتمر العالمي اليهودي لحكام صهيون المنعقد ببال في سويسرا سنة 1897 م .

ويحسن ان نذكر هنا ، أن هرتسل قبل انعقاد المؤتمر هذا وبعده ، حاول مرارا اقناع السلطان عبد الحميد أن يعطي فلسطين لليهود مقابل تسديد الديون المستحقة لبعض الدول الأوروبية التي تطالب بها ، مع دفع خمسين مليوناً من الجنيهات لخزانة الدولة العثمانية آنذاك .

إلا أن السلطان العثماني عبد الحميد ، قد وقف موقفا حازما شرف الإسلام بهذا الموقف ورفض جميع الإغراءات المادية والضغوط من قبل المنظمات اليهودية العالمية ، وقال في هذا الأمر :

بلغوا الدكتور هرتسل ألا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة في هذا الأمر فإنني لست مستعدا لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير ، فالبلاد ليست ملكي ، بل هي ملك شعبي روى تراها بدمائه فلتحتفظ اليهود بملايين من الذهب (2) .

ومن هذه الحقيقة التاريخية التي لا يمكن طمسها ، ستجعل بعض المؤرخين يعيدون وجهة نظرهم في الخلافة العثمانية التي كانت عقبة أمام الحركة الصهيونية العالمية ، بفضل العقيدة الإسلامية الأصيلة التي بينت طبيعة اليهود الذين يتميزون بالمكر والخداع والكفر بالإسلام ، يقول الله

(1) اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص 134 .

(2) راجع : شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي لأنور الجندي ص 23 .

عز وجل :

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ .

(المائدة : 82)

ولا شك ان الحركة الصهيونية كانت في نشأتها تستبكي وتستعطف المنظمات العالمية باسم القيم الانسانية والأخلاقية التي جعلتها وسيلة وليست غاية .

إلا ان انكشاف الحقيقة الماسونية أكدت تلك الشعارات التي تحملها المحافل الماسونية تعود بدون شك إلى الحركة الصهيونية العالمية التي تسعى إلى احتواء أصالة الإسلام وتخريفه وإخراج المسلمين من النهج القرآني ، فلا بد أن نكون على علم بهذه الفكرة المضللة التي جسدها بروتوكولات حكماء صهيون .

6 - الصهيونية والماسونية :

لقد قلنا في الفصل السابق إن الماسونية حركة يهودية في تاريخها واهدافها وتعاليمها ، فهي تستهدف تمجيد الدولة الاسرائيلية الغابرة ، والسعي إلى إخراج أحلامها إلى حيز الوجود ، فالسياسة عندهم لا تخضع أبدا للأخلاق ، وحسبنا أن نذكر هنا بعض الفقرات من بروتوكولات (1) حكماء صهيون ، لتكون الرؤية واضحة بالنسبة للقارئ ، ليتأكد عما قلناه سابقا ، ولقد جاء في البروتوكول الأول ماييلي :

إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه .

(1) بروتوكولات : مجموعة من توصيات جوهرية حررت من قبل الزعامة اليهودية وأثبتت في مؤتمر بازل سنة 1897 ، وقد تسربت إلى العالم بفضل سيدة فرنسية لها علاقة مع أحد أكابر الماسونية السرية في فرنسا واختلست منه هذه الوثائق .

لا بد لطالب الحكم الإلتجاء إلى المكر والرياء ، فإن الشائيل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة ، وأنها تبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم ، هذه الصفات لا بد أن تكون هي خصال البلاد الأئمية (غير اليهودية) ولكننا غير مضطرين إلى أن نقتدي بهم على الدوام .

إن حقنا يمكن في القوة ، وكلمة الحق فكرة مجردة قائمة على غير أساس فهي كلمة لا تدل على أكثر من «أعطني ما أريد لتمكني من أن أبرهن لك بهذا على أنني أقوى منك» (١) .

وليس من شك أن هذا النص يبين لنا أن الصهيونية العالمية تبرر مآربها ، وأن السياسي البارع في نظرها لا يتقيد إطلاقا بالقيم الأخلاقية المطلقة ، التي يجب أن تكون وسيلة وليس غاية في مفهومها لتخدير الشعوب فقط ، فهكذا تصبح الشائيل الانسانية - الوفاء - الاخلاص - العهد - رذائل في سجل الماسونية العالمية .

7 - القرآن قد بيّن قديما خطر اليهود على الإسلام والإنسانية إن بروتوكولات حكاء صهيون تستهدف تخريب العالم كله وقيمه الأخلاقية ، فاليهود في طبائعهم يتميزون بالمكر والنفاق ويكونون العداوة للشريعة الإسلامية وقد بين الله طبيعتهم هذه في قوله تعالى :
(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) .

(المائدة : 82) .

فاليهودية العالمية تستهدف هدر وتحريف الأديان ، فهي تصرف كل قدراتها الفكرية والمادية لإبقاء وترسيخ عقيدتها الموسوية فقط .

(١) بروتوكولات حكاء صهيون تحقيق محمد خليفة ص : 114/115 .

وقد جاء في البروتوكول الرابع عشر مايلي :

حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ، أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط حفظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم .

ولهذا السبب يجب علينا أن نخطم كل عقائد الإيمان ، وإذا تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثارة ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا - بعقيدته الصارمة - واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا (1) .

8 - القرآن يكشف الشوفينية الصهيونية : (2)

إن الصهيونية لم تقف في حد التعصب المذهبي الديني الموسوي - بل ترى أن عرق اليهود هو الأقوى والأفضل والأجدر في الحياة والبقاء ، والشوفينية هي النزعة الثانية المتأصلة في الحركة الصهيونية وتتميز بالاستعلاء وهدر حقوق الآخرين ويمكننا أن ندلل على هذه الحقيقة حين يرفع الشعار الصهيوني الذي ينص «لن يكون في فلسطين سوى وطن قوي واحد هو الوطن القومي اليهودي» ، هذه المقولة تجد سنداً قوياً في بروتوكولات الصهيونية التي تنص على مايلي :

في البند الخامس إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض ، وقد منحنا الله العبقريّة كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل ، إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا ، ولكن القادم

(1) بروتوكولات حكماء صهيون ص 169 . تحقيق محمد خليفة التونسي .

(2) الشوفينية : هي التعصب العرقي .

الجديد لن يكون كفؤا لأيد عريقة كأيدينا (1) .
وهكذا أمست الصهيونية العالمية تعتمد على النزعة العنصرية المتأصلة في
حركتها الهدامة .
ومهما يكن من أمر فإن الله عز وجل قد أظهر حقيقة الشوفينية
اليهودية في عدة آيات كريمة كقوله عز وجل :
﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين • ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله
عليم بالظالمين ﴾ .

(الجمعة : 6- 7)

وفي سورة المائدة يقول الله تعالى :

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله
ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ .

(المائدة : 18)

فهكذا نلاحظ أن هذه النصوص القرآنية الواضحة قد فندت مزاعم
الصهيونية القائلة بأنهم شعب الله المختار ، وأبناء الله - والواقع أنهم خلقوا
من الطين كبقية البشر - بل إن طبيعتهم تتميز بالعدوانية في كل مكان
وزمان دائماً . ولقد جاء في البروتوكول الخامس مايلي :

لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأميين
الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً (2) .

(1) بروتوكولات حكماء صهيون ص 135 .

(2) الخطر اليهودي : بروتوكولات صهيون ص 134 .

9 - الإسلام هو الحل الوحيد للقضاء على الحركة الصهيونية العالمية وتحرير الاراضي الفلسطينية :

ان الجرائم الوحشية التي تقوم بها الصهيونية في الاراضي الفلسطينية والعالم ، لا يمكن تبريرها إلا بالقوة المادية التي تعتمد عليها ، وتسخير كل شيء لأجل أهدافها العدوانية فلقد جاء في البروتوكول الأول مايلي : «يجب ان يكون شعارنا - كل وسائل العنف والخديعة - إن القوة المحضة هي المنتصرة في السياسة ، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة يجب ان يكون العنف هو الاساس» (1) . ويقول ابن غوريون الزعيم الصهيوني عند هجرته الى فلسطين في مطلع القرن هذا : «إن عالم اليوم لا يحترم الا القوة - ويؤكد أن قوة السلاح وليست القرارات الرسمية هي التي تقرر المسألة».

ومن هنا نطرح السؤال المشروع ، ماذا فعلت التنديدات المتكررة على السياسة الاسرائيلية في المحافل الدولية التي مافتت بدون جدوى؟ بل امست سخرية من قبل الرأي العالمي .

وعلى أية حال ، فإن القضية يكن جوهرها في العمل الجاد ، والتطبيق الفعلي لمواجهة غطرسة الدولة الصهيونية بالقوة ألم يقل الله عزوجل : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة : 190) .

وفي آية أخرى يقول الله : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال : 60) .

(1) بروتوكولات حكاء صهيون ص 118 / نزعات متأصلة في الحركة الصهيونية

إن هذه الأدلة القرآنية تؤكد أن القوة لا ترد إلا بالقوة . فالنزعة العدوانية القائمة على القوة متأصلة في الحركة الصهيونية العالمية منذ ان كانت مجرد فكرة . فأهداف إسرائيل ثابتة ونابعة من فلسفتها العدوانية الحاقدة على الإسلام ، ألم تؤكد هذه الحقيقة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل حين قالت في حديث لها مع مجلة - تيم الامريكية في شهر أغسطس لعام 1971 .

لماذا تنكر الدول الكبرى علينا مبدأ الاستلاء على الارض بالقوة ، وقد طبقوا هم انفسهم جميعا هذا المبدأ من قبل؟ (1)

هذه هي المحاولة الخطيرة التي يجري التخطيط لها من قبل التيارات الاستعمارية والصهيونية التي تسعى الى تنفيذها في العالم الاسلامي ولكن هذا الاستعمار مرتبط الى حد كبير بالاستعمار الثقافي الهادف الى خلق الشخصية الاسلامية المرتدة عن أصلاتها .

وفي هذه العجالة من التحليل ، علينا أن نستشف هذا العنصر وننبه على ان المدارس التحريفية - البابية - البهائية - القاديانية - العلمانية - والتي تنسب الى الاسلام اجحافا ، فهي في حقيقة أمرها مرآة صادقة للاستعمار الأوروبي المرتبط ارتباطا عضويا بالتيارات الهدامة - الماسونية - الصهيونية - الاستشراقية . ان هذه الحركات تستهدف كما قلنا سابقا إذابة المسلمين عقائديا ، ونفسيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، والتعلق الكلي بالثقافة الأروبية الخالصة والدفاع عنها في عقر ديارنا الإسلامية باسم التحرر الفكري والشك المنهجي ، والموضوعية العلمية . استكمالا لهذه الدعوة يحسن بنا معالجة هذه القضية التي تستند الى الحركة الاستشراقية التي تركت بصمات قوية في الفكر الاسلامي المعاصر .

(1) راجع : للدخل إلى سياسة إسرائيل الخارجية للسيد نوفل ص 115 .

ج - الحركة الاستشراقية :

1 - مفهوم الاستشراق :

ان الحركة الاستشراقية ، هي التسمية التي تنسب عادة الى علماء أوروبا وأمريكا ، الذين اهتموا بدراسة الحضارات الاسلامية والشرقية دراسة اكلاديمية ، ثم احتكوا بحياتها التراثية ودرسوا تاريخها وآدابها ، وفلسفتها وعقائدها ولغتها ودينها واعلامها الخ .

وفي ضوء هذه المدرسة الاستشراقية انشئت معاهد خاصة في جامعات اوروبا وأمريكا ، اهتمت بدراسة كل ما يتصل بالعالم الاسلامي والعربي . وبرزت جمعيات علمية وتاريخية لمعالجة الحضارة الاسلامية من الزاوية الأوروبية سواء ما يتعلق بحياة الرسول ﷺ أو تاريخ القرآن الكريم أو العلوم الكلامية أو الفلسفية..... الخ . ولقد عرف أحمد حسن الزيات الاستشراق بما يلي : يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأمه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره(1) .

أما بالنسبة لعبد الحليم عويس فيعرف الاستشراق بمايلي : (2)

وهو - بالتالي تركيب بنائي في عقلية الغرب من حيث السيادة والتحكم ، وهو اسلوب منهج لاشباع النفوس بما يفترضون مسبقا - بالتصور - انه الشرق لكي يصبح هذا الشرق شرقا بالمعنى الذي يريدونه هم فيستسلم لمطالبهم وليس شرقا بالمعنى الحقيقي الصحيح كما هو واقعه!! .

2 - تاريخ الاستشراق:

هناك اراء متباينة ، حول بداية تاريخ الاستشراق فبعضهم يرون ان

(1) أحمد حسن الزيات / تاريخ الأدب العربي ص 591 ط - 28 .

(2) انظر : منار الإسلام - العدد الأول محرم 1403 هـ ص 58 .

الاستشراق ابتداءً مع الحروب الصليبية القائمة بين المسلمين والصليبيين ، والتي دامت قرنين (1094م - 1292م) وخلال هذه الفترة العاصفة شرعت أصوات تدعوا الى نقل المعركة من ميدان الحرب الى ميدان الثقافة الفكرية ولا سيما القديس بطرس الراهب الذي دعى الى ترجمة القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية وكان الهدف من هذا تقديم صورة مشوهة عن القرآن الكريم للمجتمع المسيحي ، وقال في شأن القرآن العزيز الذي تحدى العقل الى حد الساعة مايلى : «ان القرآن منبع الزندقات وسبب الحركات الهدامة التي تهدد كيان المسيحية فاذا أريد القضاء عليه فلا بد من دراسته والدعوة الى انه كتاب تضارب وتناقض وأن ما فيه يرفضه العقل» (1).

وبما تجدر الإشارة اليه في هذا الاطار ، أن الدعوة الثانية قد مثلها المفكر الانجليزي روجر بيكون في الرسالة التي أرسلها الى البابا مُبرِّزاً فيها ، أهدافه الاساسية الداعية الى إدخال اللغة العربية ، ودراستها دراسة كاملة في الجامعات الأوروبية لتكون مدخلا ومساعداً للتبشير ، والتشكيك في سلامة رسالة الاسلام .

وهذه الدعوة قد وجدت صدى قويا عند الكنائس المسيحية ، وقرر مجمع فيينا الديني المنعقد سنة 1312م . إدخال وتدريس العلوم العربية والشريعة الاسلامية في جامعات أوروبا المشهورة : أكسفورد - باريس - روما - ... الخ .

ولقد بينت الحقائق التاريخية ، ان الدافع من وراء هذه المدارس

(1) انظر : المستشرقون والاسلام - لعرفان عبد الحميد ص 12 .

الاستشرافية لم يكن علميا خالصا من أجل المعرفة ذاتها ، بل كان الهدف واضحا ، فهو التبشير وتهيئة الأرضية الإستعمارية الإقتصادية بالدرجة الأولى .

3 حركة الاستشراق والاستعمار :

ان حركة الاستشراق لم تظهر إلى الوجود كمدرسة مستقلة لها خصائصها ، إلا في القرن السابع عشر بدافع الاستعمار الإقتصادي . ولقد اوضحت الرسالة التي ارسلها بعض العلماء الى المسؤولين في جامعة كمبردج سنة 1639م . وهذه الرسالة قد ألحت بكل إصرار على انشاء كرسي للدراسات الإسلامية ، التي ستخدم مصلحة الإقتصاد الإستعماري المرتبط بالتبشير ، ولقد جاء في الرسالة مايلي : «يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة وذلك بالعمل من اجل ازدهار تجارتنا مع الاقطار الشرقية ، وتوسيع حدود الكنيسة - ان شاء الله - في الوقت المناسب ، ونشر هدى الدين المسيحي بين اولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة» (1) .

ومن هنا نقول : ان الاستشراق لم يبق في مجال الدراسات الاكاديمية بل تعداها إلى اهداف استعمارية واقتصادية . وحسبنا هنا ان نذكر ان الاستعمارالاقتصادي لا يمكن ان يستغل ويسيطر على مصير الأمة المغلوبة على أمرها ، الا بعد دراسة حياتها العقلية والدينية والتاريخية والاجتماعية دراسة جادة واستغلال بعض الفوارق التي قد تطفو بين آونة وأخرى وبث روح التفرقة والتمييز بين افراد الأمة الواحدة التي تتفق في الاصول ، وتختلف في بعض الفروع التي تعد نتيجة منطقية ؛ كما هو شأن الاجتهاد في الاسلام الذي يعكس البنيات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية . هذه

(1) المستشرقون والإسلام لعرفان عبد الحميد ص 14 .

العوامل كان لها تأثير قوي في الاجتهاد وتباين في وجهة الرأي بين العلماء . في القضايا الاجتماعية التي طرأت في العالم الاسلامي .

الاستشراق مرآة صادقة ، للروح الاستعمارية :

لا زيب أن الابحاث التي قدمت في حقل الدراسات الاسلامية من طرف المستشرقين الذين حاولوا ان يدرسوا ويكشفوا معالم الحياة الفكرية في الإسلام كانت ذاتية فان ابحاثهم لم تستقل عن ميولاتهم الشخصية وأهوائهم ومنافعهم المادية ، ولقد امست مرتبطة بعالم الافكار الخاطئة التي كونتها بعض اقلام حركة النهضة الاروية ، لا سيما خلال ما كتبه عن حياة الرسول ﷺ ، وتاريخ العلوم القرآنية ، وعلوم الحديث والفقه الخ .

ولعل من المفيد ان نؤكد قولنا ببعض آراء هؤلاء لتكون الرؤية واضحة .

ففولتير (1694 - 1778) الذي يعد من رواد الحركة التحريرية فقد وصف الرسول الكريم بمايلي :

«مثير فتن ودجال يدعي كذبا المناجاة مع روح القدس ، ويزعم انه صاحب رسالة كل سطر فيها يتم عن السخف الذي يناقض مبادئ العقل الأولى» اما بالنسبة لديدرو فهو لا يختلف عن فولتير ويقول في حق الرسول الكريم : «قاتل رجال وخاطف نساء ، واكبر عدو للعقل الحر» (1) .

هذه خلاصة حول المفاهيم الخاطئة الاروية التي ظهرت في اوربا قبل القرن التاسع عشر . فبعد هذه الفترة ، شهدت اوربا والعالم الإسلامي ،

(1) المستشرقون والإسلام / لعرفان عبد الحميد ص 15 .

حركة استشرافية نشيطة كل النشاط .

ولا شك ان هذه الدراسات الاستشرافية ادعت انها تقيدت بالموضوعية ، وان هدفها الوحيد هو خدمة المعرفة .

وتصحيحا لهذه الافكار الزائفة ، علينا ان نسلط أضواء نقدية على بعض النصوص الاسلامية التي كتبت من قبل المستشرقين لتكون استدلالنا قائمة على اسس علمية سليمة . يقول كارل بروكلمان في حق الوحي مايلي : واغلب الظن ان محمدا قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدا ، وهو امر لم يكن مستغربا عند اصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرت العبادة الوثنية عن ارواء ظمئهم الروحي . وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى . اما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والانجيل هزيلة إلى حد بعيد .

ومع الأيام اخذ الايمان بالله يعمر قلبه ويملك عليه نفسه ، فيتجل له فراغ الآلهة الأخرى . ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الاولى من بعثته بألهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله . أما بعد ذلك حين قوي شعور النبي بالوحدانية فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله ، وجاءت السورة الثالثة والخمسون وفيها إنكار لأن تكون الالهة الثلاث بنات الله . ولم يستطع التقليد المتأخر ان يعتبر ذلك التسليم الا تحولا اغراه به الشيطان ، ولذلك أرجئت حوادثه إلى اشد اوقات النبي ضيقا في مكة ، ثم مالبت ان انكره وتبرأ منه في اليوم التالي (1) .

(1) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية ج 1 ص 38/36 - ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي .

أما بالنسبة الى المستشرق اجناس جولد تسيهر (1) فيقول في حق الوحي المحمدي مايلي : «والوحي الذي نشره محمد في ارض مكة لم يكن ليشير إلى دين جديد . فقد كانت تعاليم واستعدادات دينية نَمَّاء في جماعة صغيرة ، وقوى في افراد هذه الجماعة فهما للعالم ، مؤسسا على الحكم الالهي ؛ ولكن لم يحدد ، تحديدا دقيقا حينئذ ، اشكال هذا الحكم او مذهب له لقد كان يطلب من المسلمين ان يكونوا من المتقين ؛ لكن هذه التقوى كانت تبدو في شكل شعائر عملية زهدية كما كان الحال كذلك لدى اليهود ولدى المسيحيين ، وفي شكل صلوات ذات ركوع وسجود ، وفي شكل امتناع اختياري عن الطعام والشراب» «الصوم» ، وفي اعمال خيرية لم تحدد كيفيتها واوقاتها وحددها تحديدا يقوم على قواعد دقيقة .

وبالاجمال فان الحدود الخارجية لمجتمع المؤمنين كانت لم ترسم بعد(2)

5 - الرد على شبهات كارل بروكلمان وجولد تسيهر :

ان الناقد حينما يتأمل هذين النصين يدرك مدى تهافتها امام المنطق السليم ، والحقائق التاريخية فالمستشرقون قد نظروا الى عظمة الرسول

= بروكلمان كارل (1868-1956) مستشرق ألماني ، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية) أهم آثاره تاريخ الشعوب الإسلامية .

(1) جولد تسيهر : مجري يهودي متعصب (1850-1921) أهم آثاره العقيدة والشريعة في الإسلام ، مذاهب المسلمين في تفسير القرآن .

(2) جولد تسيهر (أجناس) : العقيدة والشريعة في الإسلام / الترجمة العربية ص 17 .

الكريم ونبوته نظرة عادية كأحد الزعماء الذين يظهرون بين أونة وأخرى . ولكن مقام النبوة يختلف عن بقية الزعامات البشرية . اختلافا جذريا . فالله عزوجل قد تعهد بحفظ رسالته ويقول الله : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ . (الحجر : 9) .

أما الشبهة الثانية القائلة بأن الرسول ﷺ قد اتصل بالنصارى واليهود لاستكمال معلومات رسالته فهي لا تختلف عن التهم القديمة التي كانت قريش تصف الرسول به . فالرسول ﷺ لم يتصل بالنصارى أو اليهود لإتمام رسالته الخالدة .

ولقد حارب الرسول ﷺ فكرة الأقانيم والتجسيد والتشبيه والوهية المسيح ولقد قال الله عز وجل : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ (سورة المائدة : 72) .

فرسالة محمد ﷺ قد حاربت الشرك ومظاهره ، ودعت الى وحدة الالهية وبينت ان الله واحد في ذاته وصفاته . وان ذات الله وصفاته شيء واحد . ولا يشاركه فيه شيء ما بأي حال من الأحوال ؛ مع الاقرار والاعتقاد بأن لا إله الا الله ، وان محمدا رسول الله ﴿وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى﴾ (النجم : 3 - 4) . ثم ان هذه الرسالة قد نسفت فكرة الشرك التي جسدها الاصنام في الحياة الجاهلية .

ولقد بينها القرآن الكريم في قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ مِّمَّنْ مِمَّنْ تَوْهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ .

اما بالنسبة لجولد تسيهر الذي ادعى ان الدين الجديد لم يظهر في مكة ، فهذه الفكرة تتناقض كل التناقض مع الحقيقة التاريخية .
ففي مكة تكونت النواة والشرارة الاولى للدولة الإسلامية الجديدة .
ففي مكة ضحى الصحابة - رضي الله عنهم - بدمائهم وارواحهم واموالهم في سبيل مناصرة العقيدة الجديدة ، وتلقوا اقصى صنوف العذاب الجسدي والنفسي من أجل حماية الرسول والمحافضة على رسالته الجديدة التي تناولت القضايا المتعلقة بالخالق والخلق والايمان والكفر ، والجنة والنار.... الخ .
وهذه الرسالة الجديدة قد غرست فيهم فكرة التوحيد الخالص والتضحية في سبيل المثل الجديدة التي لم تكن معروفة في العصر الجاهلي ان هذه الحقيقة التاريخية كافية أن تفند رأي جولد تسيهر ، الزاعم بان الإسلام لم تظهر رسالته إلا في المدينة .

6 - الحركة الاستشراقية مرحلة مدبرة لاحتواء الفكر الاسلامي عن طريق منهجها :

ويحسن بنا ، ان نذكر هنا ، ان حركة الاستشراق لم تقف في حد تزيف الحقائق التاريخية وأصول الاسلام . بل التجأت الى تخريج بعض المسلمين الذين تربوا في احضانها فحملوا افكارها الهدامة ، ودافعوا عنها في المحافل العلمية باسم الشكل المنهجي العلمي الذي يجعلنا نشك في كل شيء ، ما دام الأمر لم يكن واضحاً كالبديهيات العقلية التي تفرض نفسها على العقل البشري .

وكان رائد هذا الاتجاه هو الدكتور طه حسين الذي حمل بذرته المسمومة في كتابه المشهور - في الأدب الجاهلي - الذي يعد مدخلا تخريبيا لدراسة القرآن الكريم بالمنظور الاستشراقي وخلق الشبهات المفتعلة في كتاب الله . ولكن الله عز وجل قدره على هؤلاء في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ

الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلى الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴿

(آل عمران : 7) .

والواقع أن طه حسين كان مدفوعا ، من طرف اساتذته اليهود دركام لنيريل . ثم ان نظريته ، قد انتحلها من المستشرق اليهودي مارجليوث (1) الزاعم بان الشعر الجاهلي قد وضع بعد الاسلام . لماذا هذه المغالطة بالذات ؟ ان هذه المغالطة تستهدف التشكيك وهدم كتاب الله الكريم الذي يعتمد في تفسير ألفاضه ومعانيه البلاغية على الادب الجاهلي . مع العلم ان الشعر الجاهلي يعد ديوان العرب . ويقول الاستاذ انور الجندي عن هذه الفكرة مايلي :

والحقيقة الواضحة في هذا الامر هي : «المؤامرة على القرآن» دون الاشارة الى ذلك والعمل على هدم القاعدة الاساسية التي يرجع اليها المفسرون برد كلمات القرآن الكريم الى لغة العرب وقول رسول الله ﷺ ، وهذا أخطر مغمز لهدف طه حسين ولقد اصبح الشعر الجاهلي بعد الإسلام - كما يقول باحث كبير - بمثابة الوثيقة التي لا تكشف جوانب حياة العرب قبل الاسلام فحسب . بل تعطي كذلك صورة صادقة للفتنم واساليب تعبيرهم وطريق تصويرهم بها . لقد رجعوا في القرآن الى الشعر الجاهلي

(1) مارجليوث : (1858-1940) مستشرق انجليزي متخصص في الدراسات الإسلامية ، ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية) أم آثاره : التطورات المبكرة في الإسلام ومطلع الإسلام .

ليفهموا معاني الكلمات فاعتبر الشعر الجاهلي مصدرا لفهم القرآن» (1) .
7 - الحد المشترك بين الحركات الهدامة :

في ضوء هذا البحث ، نستطيع ان نستنتج المميزات العامة لهذه الحركات الهدامة

اولا : ان المحلل الناقد لهذه الحركات التحريفية يدرك ان مفاهيمها ومقولاتها تستمد من الفلسفة الصهيونية المرتبطة ارتباطا عضويا مع الفكر الاستعماري القديم والحديث الهادف الى انشطار الشخصية الاسلامية وزعزعة العقيدة الاسلامية في الاجيال القادمة .

ثانيا : خلق دُمى في الحكم تعمل تحت أمره ووصيته بأساليب مختلفة في العالم وتدافع عن ثقافته المتسربة إلى مؤسساتنا التربوية ومن هذا المنطلق التاريخي نؤكد مرة أخرى ، ان الحركة الاستشراقية هي المرتبطة بالدراسات العربية والإسلامية تستهدف اتباع خطة التبشير الصليبي او الشيوعي وجعل العالم الإسلامي يركع تحت المؤثرات الاقتصادية والفكرية بطريقة شعورية او لا شعورية ولعل هذه الحقيقة سوف تتجلى بكل تأكيد ويقين في المدارس التحريفية التي سنبين دعائها ومقولاتها الفكرية التي تتناقض مع اصالة الاسلام مع العلم ان هذه المدارس قد غرست بذورها في احضان العالم الاسلامي المعاصر .

(1) منار الإسلام - العدد السابع مايو 1983 م ص 98/97 .

الفصل الثاني

المدارس التحريفية

1 - مقدمة الفصل .

لقد ذكرنا في الفصل السابق ، ان الحركات الهدامة التالية : الماسونية ، الصهيونية ، الاستشراقية كانت مدخلا تخريبيا خطيرا تستهدف وجود مدارس تحريفية انشطارية في الفكر الاسلامي المعاصر .

وهذه التيارات تمثلها ، البهائية ، القاديانية - العلمانية - وكان الهدف من هذه التيارات التحريفية ، خلق ثغرات وممرات في المجتمع الاسلامي الأصل ، وتحريف منهجه وبالتالي نسخ القرآن الكريم الذي يدعو الى قيام المجتمع الاسلامي الثائر على الاستعمار ومظاهره مهما كانت .

وهذا الكتاب الكريم كان دوما سندا قويا تحطمت عليه اطماع الاستعمار القديم والحديث .

ومن هنا نقول : ان القرآن الكريم قد عالج طبيعة الانسان وبين دوافعه الفطرية والمكتسبة الكامنة فيه - وهو يلبي حاجات الانسان في كل زمان ومكان .

وهكذا نلاحظ ان الاسلام يتميز بالشمولية ، اما الانظمة الاخرى فهي تقتصر الى الشمولية الكلية . ولعل اكبر دليل على ذلك التجارب الانسانية الفاشلة التي تقوم بها الانظمة السياسية الحالية في حضارتنا الراهنة .

وفي ضوء هذا كله ، فان التيارات التحريفية ، التي أوجدتها الاستعمار تحاول إجهاض اصالة المدرسة الاسلامية وهدم اسسه السليمة ، ونسخ وظيفته الاجتماعية والفكرية والسياسية في حياة الفرد والمجتمع .

هذه هي النتيجة الحتمية التي افرزتها المدارس التحريفية المرتبطة بالحركات الهدامة - الماسونية ، الصهيونية ، الاستعمارية ، الاستشراقية - .

وفي ضوء هذا كله ، سنحاول في هذه الدراسة الميسرة ، استظهار واكتشاف طبيعة هذه المدارس التحريفية معتمدين على مصادرها لتكون

الرؤية واضحة امام القراء مبتدئين بحول الله بالمدرسة البابية والبهائية .

أ - البابية :

1 - التعريف بصاحب المدرسة :

ان البابية نسبة الى علي محمد رضا الشيرازي الذي ولد سنة 1819م بشيراز الايرانية (1) .

ولقد سمى نفسه باب العلم ، زاعما بان العلم الحقيقي لا يدرك إلا من خلاله . فلا معرفة إلا به للوصول إلى معرفة الله وإدراك سر وجوده ويقول أنا مدينة العلم وعلي بابها . ولعل من المناسب ان نذكر ان حياته الفكرية الاولى قد قضاها في كربلاء والنجف وتلمذ على السيد كاظم الرشتي الذي كان من دعاة الفكر الباطني ، فدعا بكل حماس الى فكرة المهدي المنتظر القائل بانه قريب الظهور .

ويقول في هذا الشأن : «ان الموعد يعيش بين هؤلاء القوم ، وان معاد ظهوره قد قرب ، فهيئوا الطريق اليه ، وطهروا انفسكم حتى تروا جماله ، ولا يظهر لكم جماله الا بعد ان افارق هذا العالم . فعليكم بعد فراقنا ان تقوموا على طلبه ، ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه» (2) .

وهكذا نرى أن استاذ الرشتي يشير بطريقة ضمنية باطنية الى تلميذه الميرزا علي محمد الذي تربى في احضانه - ويقول استاذ ان الشريعة وأصول الآداب هي غذاء الروح ، لذلك يجب ان تكون الشرائع متنوعة ، وعلى

(1) عبد الرزاق الحسيني «البابيون والبهائيون» ص 28 .

محسن عبد الحميد «حقيقة البابية والبهائية» ص 57 .

(2) راجع حقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص 53 .

ذلك يجب نسخ الشرائع العتيقة (1) .

وحسبنا ان نذكر هنا ، ان دعوة استاذہ کاظم الرشتي قد وجدت أنصارا متحمسين لفكرة الموعود المزعوم . واعلن علي محمد رضا الشيرازي نفسه نبي الله وناسخا للشریعة الاسلامیة في مدينة شیراز الايرانية وذلك سنة 1844م وكان عمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين سنة . الا ان علماء ايران وقفوا ، إزاء هذه الحركة الهدامة موقفا حازما وافتوا بقتله لخروجه عن الاسلام(2) وانكار رسالة الرسول ﷺ التي تعد خاتمة الرسائل السماوية ، ويقول الله عزوجل : ﴿وما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبیین وكان الله بكل شيء علیما﴾ (الاحزاب : 40) .

2 - افكار البایبة :

ان افكار علي بن محمد الميرزا صاحب المایبة تستمد طبيعتها من فكرة الباطنية القائلة : بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأویلا . وهذه النزعة الهدامة تقرر ان للنصوص القرآنية باطنا غير ما يدل عليه ظاهر النص العادي . ولا يمكن ان يدرك حقيقته الا الأئمة وانصارهم الذين يعينهم الإمام ويرضى بعلمهم . الا ان هذه النزعة الباطنية في حقيقة امرها تستهدف تحريف الاسلام وتشويه مبادئه والقضاء على أصوله وتزييفها منذ القديم الى يومنا هذا .

فالأهداف هي ذاتها منذ القديم لم تتغير وان تغير المظهر فقط فالجوهر هو هو... .

(1) نفس المصدر 53

(2) لقد نفذ عليه حکم الاعدام بأمر من الشاه ناصر الدين سنة 1266هـ الموافق لـ 9 يوليو 1850م .

لقد بين الامام الكبير عبد الرحمن الجوزي (1) . قديما ، الفكر الباطني الهدام للأسس الاسلام ويقول في هذا الامر مايلى : «واما تسميتهم بالباطنية فانهم ادعوا أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن ، تجري مجرى اللب من القشرة ، وانها توهم الاغبياء صورا ، وتفهم الفطناء رموزا واشارات الى حقائق خفية وان من تقاعد عن العرض على الخفاء والبواطن متعثر ، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعيائه واستشهدوا بقوله تعالى : ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الاعراف : 157) .

قالوا : والجهال بذلك هم المرادون بقوله : ﴿فضرب بينهم بسور له باب﴾ (الحديد : 13) .

وغرضهم فيما وضعوا من ذلك إبطال الشرائع لأنهم صرفوا العقائد عن موجب الظاهر فحكموا بدعوى الباطن على ما يجب الانسلاخ من الدين (2) . إنطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية فان الاهداف الباطنية الناسخة لأصول الشريعة الاسلامية . قد تجلت في كتاب البيان الذي ألفه الباب ، وادعى فيه انه ناسخ للقرآن الكريم ، وزعم ان الله عز وجل قد حل فيه . وان جميع حركاته وسكناته واقواله مظهر من مظاهر الله عز وجل تعالى الله عن ذلك . إلا أن الإنسان الأقل ثقافة يدرك بكل بدهة ان هذا الكتاب يتناقض مع قواعد المنطق السلم وسلامة اللغة الصحيحة .

(1) ولد الإمام عبد الرحمن الجوزي سنة 510 هـ فتوفي سنة 597 هـ في بغداد .
وتصانيفه تزيد على 150 كتابا في العلوم الإسلامية .
(2) انظر : القرامطة تأليف الإمام عبد الرحمن بن الجوزي (510 - 597 هـ) / تحقيق محمد الصباغ ص 37/36 .

ولعل من الافضل ان نورد بعض فقرات من هذا الكتاب الساذج ،
لتكون الصورة واضحة للقارئ الكريم ولقد جاء في كتابه البيان العربي
مايلي : (1)

بسم الله الامنع الاقدس

- انني انا الله لا اله الا أنا وان ما دوني خلقي قل ان يا خلقي ! اياي
فاعبدون . قد خلقتك ورزقتك وامنتك واحببتك وبعثتك وجعلتك
مظهر نفسي لتتلون من عندي آياتي ، ولتدعون كل من خلقتك الى ديني
هذا صراط عن منيع . و خلقت كل شيء لك وجعلتك من لدنا سلطانا
على العالمين واذنت لمن يدخل في ديني بتوحيدي واقرنته بذكرك ثم ذكر
من قد جعلته حروف الحق باذن وما قد نزل في البيان من ديني فان هذا
ما يدخل به الرضوان عبادي المخلصين وان الشمس آية من عندي ليشهدن
في كل ظهور مثل طلوعها كل عبادي المؤمنين . قد خلقتك بك ثم كل
شيء بقولك امرا من لدنا انا كنا قادرين وجعلتك الأول والآخر
والظاهر والباطن انا كنا عالمين (2) .

فمن هذا يتضح لنا ان اسلوب وافكار هذا الكتاب البيان العربي الذي
ألفه علي بن محمد ميرزا يتميز بعذاجة التفكير واضطراب في الاحكام مع
الجهل التام بقواعد الانشاء السليم الصحيح .
وفي ضوء هذا ، يحسن بنا ان نذكر هنا اهم قواعد وأصول المذهب البابي
لتكون الرؤية واضحة امامنا .

(1) ملاحظة : إن الكتاب البيان العربي قد كتبه صاحب البائية على محمد عام
1260 هـ ولكن البهائية قد نسخته بكتاب آخر الأقدس الذي يعد أهم مرجع بالنسبة
للبهائية .

(2) انظر : البيان العربي «البايون والبهائيون» للسيد عبد الرزاق الحسيني ص 124 .

3 - دعائم مذهب البائية :

1 - لقد قلنا سابقا ان البائية تعتمد على الفكرة الباطنية الهادفة الى القول بان الاسلام قد استنفذ جميع تشريعاته ، وان القرآن قد نسخ والفكرة قد اخذت من ابي جعفر محمد بن علي الشلمغاني القائل : بان روح الله قد حلت فيه . ويعد ابن علي الشلمغاني من انصار الشيعة المتطرفة جدا المارقة عن الدين حين تبنت فكرة الحلول (1) .

ويقول علي محمد الباب في كتابه البيان مايلى : «إنني أنا الله لا اله إلا انا وان ما دوني لو يهتدي بهدي جهدي كشل مرآة يرى فيه شمس طلعتك ذلك خلقي قل يا خلقي اياي فاتقوني» (2) .

2 - عدم ايمانه بان الرسالة المحمدية آخر الرسالات السماوية :
فهذه الفكرة المارقة تتناقض كليا مع القرآن الكريم والسنة وإجماع الصحابة والعلماء والأمة الإسلامية ويقول الله عزوجل : «وما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (الاحزاب : 40) .

3 - انكاره ليوم القيامة و يوم الحساب :

فالقيامة في نظره هي ارساله إلى البشر ويقول في كتابه البيان : «أتحسبون أن الحساب والميزان في غير هذا العالم قل سبحانه الله عما يظنون» (3) .

(1) انظر : حقيقة البائية والبهائية ص 64 المصدر السابق .

(2) انظر : البيان ص 127 ، نقلا عن البايين والبهائيين في حاضرم وماضيهم لعبد الرزاق الحسيني .

(3) انظر : حقيقة البائية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص 132 .

العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر : 88 .

ان هذه الفكرة الالحادية ليست جديدة في تاريخ الفلسفة بل تعود الى النزعة المادية الدهرية التي كانت سائدة في الفكر اليوناني والجاهلي ولقد ذكر الله هؤلاء في قوله تعالى : ﴿وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر﴾ (الجمانية : 24) .

4 - اهتمام البابية بالرقم الرياضي - 19 -

واعتقدت انه يمثل الوحدة الالهية وقدرته الى حد العبادة واعتبرت ان نظام العالم قائم عليه . ولقد جاء في البيان مايلى «قد جعلنا الحول تسعة عشر شهرا لعلمكم في الواحد تسلكون» وفي شطحاته الاخرى يقول : ولتقولن تسعة عشر مرة سبحانك اللهم ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من المسبحين(1) .

الا ان هذه الفكرة الرياضية مأخوذة من الفلسفة الفيثاغورية ولم تجد انعكاسا في الفلسفة الاسلامية ماعدا غلاة الشيعة والاسماعيلية واخوان الصفى الذين تبنوا هذه الفكرة .

من هذه الخصائص والمميزات التي شرحناها يمكن الاشارة الى ان البابية مزيج من الافكار الدهرية ، والماجوسية والمسيحية واليهودية والاسلامية . وان مقولاتها تتناقض مع سلامة وأسس الاسلام ، وتعد انحرافا عن منهج الاسلام الصحيح . ولكن الدراسات الجادة أظهرت أن هناك علاقة عضوية بين الاستعمار وهذه المدرسة الهدامة .

5 - البابية والاستعمار :

ان الاستعمار القديم والحديث كانا يستهدفان دائما ، تمزيق وحدة الاسلام وخلق دمي تعمل من أجل مصالحه ، ولا أدل على ذلك ما قامت به

(1) انظر : البيان ص 131/138 تحقيق عبد الرزاق الحسيني.

حسين بن علي استطاع ، ان يقضي على زعامة أخيه صباح ازل وامسى زعيم البابية بعد خصومة عنيفة ويقول السيد عبد الرزاق الحسين مايلي : استمرت المنافسة على الزعامة بين الاخوين ، وصار كل منهما يطعن في أخيه ، وزاد الطين بلة أنه كان لكل منهما اتباع واشياع ، فكان هؤلاء يتخاصمون جهارا حتى صاروا يدسون السم في الدسم واستمر الحال على هذا المنوال نحو خمس سنوات اختل الأمن خلالها ، وكثرت الفوضى ، فاتفق (الباب العالي) والسفارة الايرانية في الاستانة على التفريق بين الاخوين ، ونفي كل منهما الى جهة ما ، فارسل الميرزا حسين الى عكا ومعه أربعة من اصحاب أخيه و68 من اتباعه الخالص ، فبلغوها في 12 جمادي الاول 1285 هـ - 31 آب 1868م ونفي الميرزا يحيى نور الى (فاكوستا) في جزيرة قبرص ومعه أربعة من اشيع أخيه الميرزا حسين وثلاثون من اتباعه فبلغوها في خامس من ربيع الثاني 1285 هـ (26 تموز سنة 1868م) وبهذا التدبير استقر كل من الأخوين في ناحية منقطعة عن الآخر وضايقتهم الحكومة هـدة من الزمن (1) .

2 - الميرزا حسين علي زعيم البهائية :

حياته : هو الميرزا حسين علي بن الميرزا المازندراني النوري الملقب ببهاء الله في مؤتمر ديشت الذي انعقد في مدينة مازندران الايرانية لمناقشة قضايا البابية (2) .

ولقد ولد في بلدة نور في إقليم مازندران بإيران في 12 نوفمبر سنة 1817م وتوفي في 28 أيار سنة 1892م في عكا ودفن فيها.

(1) انظر : البابين والبهائيين لعبد الرزاق الحسيني ص 61 .

(2) انظر : حقيقة البابين والبهائيين ص 147 لمحسن عبد الحميد .

3 - حياته الفكرية :

اما حياته الثقافية فهي مزيج من التيارات الزرادشتية والبوذية واليهودية والمسيحية والإسلامية ولقد تأثر الى حد كبير بالفلسفة الباطنية والصوفية ولا سيما المذاهب الداعية الى وحدة الوجود والحلول . ويقول في هذا الامر محسن عبد الحميد مايلى : «وتأثير الكتابات الصوفية قد بلغ في اسلوب الميرزا حسين مبلغا عظيما ، حتى انك لا تكاد تقرأ صفحات من كتاباته الا وتحسب نفسك امام كتاب من كتب متطرفي الصوفية في معانيه ومبانيه» (1) .

4 - مؤلفات بهاء الله :

ان بهاء الله قد كتب عدة آثار ، وكان يستهدف منها هدم وتزييف رسالة الانبياء وإنكار الوحي ، وخلق ثغرات الشك والريبة في الاجيال الإسلامية ولعل من المفيد ان نشير الى اهم كتبه فهاهي .

- 1- كتاب الإيقان في شرح اسرار الكتب الإلهية .
- 2 - كتاب الأقدس الحامل للشريعة والأحكام البهائية .
- 3 - الاشراقات ، والطرازات ، والبشرات ، والتجليات ، والكلمات الفردوسية .

4 - عدة رسائل ارسلها الى الملوك .

5 - كتاب الأقدس الحامل للشريعة والاحكام البهائية (2) .

وفي ضوء هذه الاثار الفكرية لا بد ان نشير الى كتابه الاقدس ، الذي

(1) انظر : حقيقة البابية والبهائية ص 150 .

(2) راجع : البهائية ص 73 - نفس المصدر .

كتاب الأقدس الحامل للشريعة والأحكام البهائية (1) :
وفي ضوء هذه الآثار الفكرية فلا بد أن نشير إلى كتابه الأقدس ،
الذي يزعم أن أحكامه قد أنزلها الله عليه وادعى أن هذا الكتاب ناسخ
لأحكام القرآن الكريم .

وهذا الكتاب في زعمه يجمع الأديان الثلاثة : اليهودية ، المسيحية
والإسلام ، غير أن الناقد العادي ، يستطيع أن يدرك أن هذا الكتاب لا
يختلف عن كتاب البيان الذي قلده فيه أستاذه علي محمد ميرزا .

ثم يلاحظ أن في كتابه انتحال لأفكار القرآن الكريم ، فأراد أن يقلد
أسلوب القرآن ولكنه وقع في مصيدة بدون أن يدري .

ولعل من المفيد أن نوريد بعض الشطحات من هذه الأفكار الساذجة
، ولقد جاء مثلا في انعدام الماء في وقت الصلاة مايلى : «من لم يجد الماء
يذكر خمس مرات بسم الله الأطهر ، ثم يشرع في العمل ، هذا ما حكم به
مولى العالمين . قد عفا الله عن النساء حينما يجدن الدم في الصوم والصلاة
ولهن أن يتوضأن ويسبح خمسا وتسعين مرة من زوال إلى زوال سبحان
الله ذي الطلعة والجمال هذا ما قدر في الكتاب ، إن أنتم من العالمين» (2) .

ولم يقف عند هذا الحد بل أراد أن يقلد القرآن الكريم ، في أسلوبه
ومعانيه وألفاظه ، وجاء هذا الكتاب مهلهل الأسلوب والتفكير ، كقوله :
«قد كتبنا عليكم الصيام أياما معدودات وجعلنا النيروز عيدا لكم بعد إكمالها
، قد حرم عليكم القتل والزنا ثم الغيبة والافتراء اجتنبوا ما نهيم عنه في
الصحائف والألواح (3) ، قد قسمنا المواريث على عدد التاء والفاء وللآباء

(1) - راجع البهائية ص 73 . نفس المصدر .

(2) - (3) - انظر الأقدس : ص 152 .

من كتاب الزاء على عدد التاء والكاف ، وللأمهات من كتاب الواو على عدد الرفع» (1) .

وهكذا يتبين لنا أن هذا الكتاب الأقدس مليء بالتناقضات والسرقات والأفكار الساذجة فهذه حقيقة يدركها كل إنسان عادي له إلمام ببعض الثقافة العامة .

6 - عقائد البهائية :

إن العقيدة البهائية ، هي انعكاس طبيعي للنحلة الباطنية ، التي ترى أن لكل ظاهر باطنا ، ولك تنزيل تأويلا .

وإن هذا الوجود قد فاض من ذات الله ، وأن إمامهم مظهر من مظاهر الله ، فهذا يتنافى مع العقيدة الإسلامية التي تقر أن الله قد خلق العالم خلقا مستقلا عنه . وأن الرسل لا يختلفون عن بقية البشر إلا بالرسالة التي حملوها ولهم العصمة في حق هذه الرسالة الخالدة .

فعقيدة البهائية تتنافى مع سلامة رسالة الإسلام ، بل قاموا بتزييف عقائد الإسلام تزييفا كلياً ، فهم يختلفون عن الملة الإسلامية في فرائض العبادة وآدابها ، وحسبنا أن نذكر هنا بعض عقائدهم لا سيما ما يتصل بالصلاة والصوم ، والزكاة والحج .

(1) - انظر الأقدس : ص 153 .

أ - الصلاة :

الصلاة عند البهائية ، تقوم على تسع ركعات في اليوم ، وهي تقوم على انفراد ويتوجه البهائي نحو القدس بدلا من الكعبة ، ولقد جاء في الأقدس مايلي :

«قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفي البكور والآصال وإذا أردتم الصلاة ولُّوا وجوهكم شطر الأقدس المقام للقدس الذي جعله الله مطاف الملاً الأعلى»(1).

ب - الصوم :

إن شهر الصيام عند البهائيين تدوم مدته تسعة عشر يوما ، فإنه يقع دائما في فصل الربيع ، ويُعْفَى من الصيام ، المسافر والمريض والحامل والمرضع والحائض ولا يستلزم القضاء عن ذلك ، ولقد جاء في الأقدس : كتبنا عليكم الصيام أيام معدودات وجعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها . ليس على المسافر ، والمريض ، والحامل ، والمرضع ، والحائض من حرج عفا الله عنهم فضلا من عنده إنه هو العزيز الوهاب»(2).

ج - الزكاة :

الزكاة عند البهائيين ، تشبه الصدقات ، التي يتصدق بها الإنسان فهي غير مفصلة ، ولقد جاء في الأقدس مايلي : «قد كتب عليكم تزكية الأقوات ، وما دونها بالزكاة هذا ما حكم به منزل الآيات في هذا الرق المنيع ، سوف نفصل لكم نصابها إذا شاء الله وأراد أنه يفصل ما يشاء بعلم من عنده إنه هو

(1) - (2) - انظر الأقدس : ص 161 و 153 .

العلام الحكيم»(1).

الحج :

أما بالنسبة للحج فإن البهائية تحج إلى عكا بضريح حسين علي الملقب ببهاء الله وضريح السيد علي محمد مؤسس البابية الموجود على جبل الكرمل بجيفا في فلسطين .

وحسبنا أن نذكر هنا ، أن البهائية تقوم بتحريف ووضع الأحاديث في سبيل تثبيت قدسية عكا - كقولها أن الرسول ﷺ قال : طوبى لمن رأى عكا - ثم تقوم بتأويل الآيات القرآنية الكريمة لأجل أهدافها الهدامة - كهذه الآية الكريمة : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ .(الاسراء : 1).

يقول صاحب الكتاب التبيان والبرهان مايلى : فالمكان الذي بارك فيه سبحانه وتعالى هو حول المسجد الأقصى ، وهي بلدة عكا ، ووجه التخصيص بأن المبارك فيه هي هذه البقعة ، ارتفاع النداء منها ولم نجد نداء ارتفع من الأرض المقدسة بالدعوة إلى الله بعد نزول القرآن إلا منها»(2).

وخلاصة الفكرة ان البهائية قد حرفت وزيفت أصول الإسلام الصحيح ، وأرادت ضربه من الداخل ، فهي خطة أوجدتها التيارات الإستعمارية ، والصهيونية ، والماسونية .

(1) - انظر الأقدس : ص 167 .

(2) - انظر التبيان والبرهان لـ أ.ج . آل محمد ص 127 .

7 - البهائية والحركة الإستعمارية والصهيونية :

يقول عبد البهاء : « لا نسح لأنفسنا أن نتكلم بكلمة واحدة رديئة عن شخص آخر ولو كان عدولنا » (1) . هذه المقولة التي قالها بهاء الله ، قد طبقها بخذافيرها مع الإستعمار البريطاني الذي ناصر هذه الحركة الهدامة . ويقول في هذا الشأن : « إذا قام أي ملك من الملوك ، وفقهم الله - كذا - على حفظ هذا الحزب - البهائية - المظلوم وأعانتة ، يجب على الكل أن يتسابقوا في محبته وخدمته ، وهذا فرض على الكل ، طوبى للعاملين » (2) .

وحسبنا أن نشير هنا إلى أن الانجليز حين احتلوا حيفا في عام 1918م وجدوا المساعدة الكلية من البهائيين وقدم إلى زعيم البهائيين عبد البهاء وسام العضوية البريطانية من لندن صاحب الجلالة سنة 1920م ، إن هذا الوسام لدليل أكيد على الترابط العضوي بين الإستعمار البريطاني وهذه النحلة التخريبية (3) .

أما بالنسبة لعلاقتهم مع الحركة الماسونية فقد تركز وجودهم في المدينة اليونانية سالونيك ، حيث توجد الدوغة - الطائفة اليهودية المرتدة ،

(1) - انظر البهائية : ص 86 .

(2) - انظر نبذة عن إشراقات بهاء الله ص 111 ، نقلا عن حقيقة البايية والبهائية ص 241 .

(3) - انظر حقيقة البايية والبهائية ص 241 .

والمخافل الماسونية - ومن تركيا اتجه أنصار البهائية إلى أرض فلسطين بدافع من اليهود . فاستوطنوا مدن عكا وحيفا لمناصرة الوجود الصهيوني . ورفعوا الشعار الماسوني - الحرية والاخاء ، والمساواة - وهذا الشعار قد جسده في فلسفتهم(1) .

8 - المستشرقون والبهائية :

إن المستشرقين يرون أن المدرسة البهائية ماهي إلا مدرسة تجديدية وإصلاحية ظهرت في الفكر الإسلامي كنتيجة حتمية للتطور والتغيير اللذين لازما العالم الإسلامي . وهؤلاء المستشرقون يعتبرون زعماء البايية والبهائية من المفكرين الإصلاحيين الثوريين ، الذين جددوا منهج الإسلام . ولكن هذا الإدعاء أمسى مكشوفاً ، ويحمل في طياته بذور التفرقة و ضرب الإسلام من الداخل في أسسه السليمة ويقول المستشرق هنري ماسية مايلي :

«إن البايية بالنسبة للمذهب الشيعي تمثل تقدماً نحو التحررية الدينية ، ولكنها ظلت إسلامية بحتة وإيرانية بشكل خاص . أما بهاء الله فقد مال إلى تأسيس دين عالمي يضم جميع البشر ، ومن هنا جاءت رغبته في إيجاد لغة عالمية ، وقد سعى لا للقضاء على الأديان السابقة بل يجمعها في مثل أعلى واحد» .(2).

(1) - انظر منار الإسلام العدد الرابع - ربيع الثاني 1399 هـ ص114 .

(2) - انظر الإسلام للمستشرق الفرنسي هنري ماسية ترجمة بهيج شعبان ص 274 .

أما بالنسبة إلى المستشرق - أجناس جولد تسيهر - يقول : فأنتي (1) بنظريات أخلاقية تطابق العقل والذوق السليم ، طالب فيها بالإخاء بين كافة أفراد الجنس البشري بدلا من إقرار الفوارق التي تفصل بين الطبقات والديانات ، ورغب في أن يجعل المرأة على قدم المساواة بالرجل ، وذلك بانتشالها من الدرك الأدنى الذي وضعتها فيه تقاليد الحياة العملية باسم الدين والسنة» (2).

أما بالنسبة للعقيدة البهائية ، فيقول فيها : «ومما ساعد بهاء الله على رفع قدره بين أتباعه حتى بلغ عندهم مرتبة الكائن الإلهي ما فاض عليه من مواهب ونفحاتها . وكما أنه في آرائه السياسية يتشبث بالعالمية أو كما قال : «لا فضل لمن أثر وطنه بالحبّة وإنما الفضل لمن جعل العالم وطناً له» .

فهكذا نلاحظ أن هذه الحركة الاستشراقية تستهدف تحطيم الإسلام من الداخل باسم الموضوعية ، والمنهجية النقدية ، ومع هذا تقول لهؤلاء : إن الأفكار التي حملتها النحلة البابية أو البهائية ليست جديدة في الفكر الإسلامي ، فالإسلام يقرر أن أصل الأديان كلها واحد - يقول الله عز وجل : ﴿وَأَمِنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ «البقرة : 285».

(1) - إشارة إلى صاحب البابية الميرزا علي محمد .

(2) - راجع العقيدة والشريعة في الإسلام ص 272 .

ثم إن الإسلام ينبذ الإكراه ؛ يقول الله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ «البقرة : 256».

وحسبنا أن نذكر هنا ، أن الإسلام قد دعا إلى الروح الإنسانية النبيلة ، ونبذ جميع مظاهر التعسف الجنسي والعرقى والطبقي ، والاجتماعي ، يقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ «الحجرات : 13».

ج - القاديانية :

إذا شئنا أن نرسم فكرة شاملة ، نوضح فيها الخطوات الرئيسية لظهور المدارس التحريفية ، فلا بد أن نشير إلى المدرسة القاديانية التي لا تختلف عن أهدافها التحريفية عن المدرسة البهائية ، مع العلم أن كثيرا من المسلمين يعتبرون أن هذه المدرسة إصلاحية في منهجها ، ولعل هذه الدراسة سوف تكشف لنا أصولها التحريفية التي هي خارجة عن ملة الإسلام .

1 - علة تسمية المدرسة بالقاديانية وانقسامها :

إن المدرسة القاديانية نسبة إلى مدينة قاديان الهندية التي ظهرت وترعرعت فيها هذه المدرسة الهدامة التي تزعمها ميرزا غلام أحمد المولود سنة 1839م ، بهذه المدينة الهندية ، وهذه النحلة قد انقسمت إلى فرقتين .

أ - الفرقة الأولى : تسمى نفسها القاديانية أو الأحمدية وتدعي أن الميرزا غلام أحمد أرسله الله نبيا ورسولا ناسخا للشرعة الإسلامية .

ب - الفرقة الثانية : تنظر إلى ميرزا غلام أحمد على أنه مجرد مصلح ومجدد للشرعة الإسلامية ، وهذه تنتمي إلى محمد علي اللاهوري ، وتسمى في أغلب الأحيان بشعبة اللاهور .

2 - غلام أحمد نشأته وحياته الفكرية :

ولادته : لقد ولد الميرزا غلام أحمد سنة 1839م (1) ، في مدينة قاديان في ولاية بنجاب بالهند في عائلة اشتهرت بخدمة الحكم الإستعماري الانجليزي ، ولعل هذه الحقيقة انعكست آثارها على هذه الشخصية بطريقة شعورية ولا شعورية ، يقول في هذا الصدد مايلي : «لم تبخل عائلتي ولم تَظن ، ولن تبخل ولن تَظن بدماء أبنائها في خدمة مصالح الحكومة الانجليزية أبدا» «ترياق القلوب تأليف الميرزا غلام أحمد ص 15» (2) .

أما بالنسبة لحياته التعليمية فإن الميرزا غلام أحمد ، لم يدخل أية مدرسة رسمية ، ولكنه تلقى تعليمه الأول في بيته على بعض المعلمين الذين علموه ، بعض المعارف الإبتدائية لا سيما مايتعلق باللغة الأردية والعربية والفارسية ، ولما بلغ العاشرة من عمره تعلم قواعد اللغة وحفظ بعض الآيات القرآنية الكريمة .

وحين بلغ السابعة عشر من عمره استطاع أن يقدم علوم المنطق وعلم الكلام والفلسفة ، أما ما يتصل بالعلوم الدينية وفروعها ، فقد تعلمها من تلقاء نفسه ، وكان له شغف على اكتسابها ، حيث انكب على دراستها والسعي إلى الحصول عليها .

(1) - ما هي القاديانية ؟ لأبي الأعلى المودودي ص 9 .

// تاريخ المذاهب الإسلامية ص 250 .

(2) - راجع : ماهي القاديانية ؟ ص 12 .

غير أن طموحاته الشخصية ، بدأت تظهر ملامحها ، فلاسيما بعد وفاة والده الميرزا غلام الله وذلك سنة 1876م ، ادعى أن الله قد أنزل عليه الإلهامات فأخبره أن والده سيهوت حتما بعد المغرب .

3 - إدعاءاته ونبوته المزعومة :

وقد بدأ الميرزا غلام أحمد مذهبه الهدام بادعاءه المزعوم أن الله قد أنزل عليه وحيا بعد وفاة أبيه ، وقد شرع ينشر هذه الفكرة في الأوساط العامة بطرق تدريجية ، زاعما أنه مجدد ومناصر الدين الإسلامي ، وأن طبيعة رسالته لا تختلف عن رسالة المسيح - عليه السلام - .

وفي سنة 1891م (1) ، ادعى أنه المسيح الموعود والمهدي المنتظر لتخليص عالم الإنسانية من الظلم والاضطهاد ونشر لواء العدالة الإلهية ، بين أبناء البشر الذين خلقوا من طين واحد وأنه المبشر بالجنة ، ولقد سار الميرزا غلام أحمد في هذه الفكرة الضالة يبث نفوذه في المسلمين ، ويقول في حق صلب المسيح - عليه السلام - إنه لم يرفع إلى السماء ، بل دفن في الأرض وادعى أنه اكتشف قبره قرب كشمير وأنه فر من اليهود حين شبه لهم ونجا من الصلب وأن روحه قد حلت فيه ويقول في هذا الشأن : «وهو قد سماني بمريم في الجزء الثالث من البراهين الأحمدية ثم نشأت في الصفة المريمية إلى سنتين كما هو الظاهر من البراهين الأحمدية ومازلت أنمو وأترى وراء الحجاب ، ثم نفخ في روح عيسى كرم وحملت بعيسى على وجه الإستعارة ، ثم بعد عدة أشهر - جعلت عيسى بعدما كنت مريم بإلهام

(1) - تاريخ المذاهب الإسلامية ص 251 .

(//) - أضواء على الحركات الهدامة ص 61 .

جاءني في آخر الجزء الرابع من البراهين الأحمدية فهكذا أصبحت ابن مريم
والله ما أطلعني على هذا السر الخفي عند البراهين الأحمدية» إزالة الأوهام
ص 659 - (1).

وهكذا يقول الميرزا غلام أحمد : إنه المسيح الموعود الرسول إلى البشر ،
ويقول في ذلك : «والله الذي بعثني ، والذي من عمل الملعونين الإفتراء عليه
أنه جعلني المسيح الموعود وارسلني إلى الدنيا» تبليغ الرسالة ج 11 . ص 18
- (2).

(1) ما هي القاديانية ؟ ص 40 .

(2) ما هي القاديانية ؟ ص 41 .

4 - مزاعم الميرزا غلام أحمد في النبوة :

ولما أحس الميرزا غلام أحمد ان له اتباعا وانصارا من الفئة التي رباها الاستعمار في احضانه الهادفة الى التشكيك في اصول الاسلام ورسالة محمد ﷺ شرع في خطوة أخرى حيث أخذ يحرف ويزيف المدلول اللغوي والشرعي في مسألة ختم النبوة المحمدية على حسب هواه ونزقه . ونحن المسلمون نعتقد ونجزم ان النبي محمدا ﷺ هو خاتم المرسلين وانه لا نبي بعده الى يوم القيامة يقول الله عزوجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ (المائدة : 3) .

﴿ما كان محمد اباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (الاحزاب : 40) .

إلا أن القاديانية عارضت رأي الجمهور العام عند المسلمين في تفسير هذه الآية فهي تفسرها على النحو التالي على حسب النصوص القاديانية قال المسيح الموعود عليه السلام في خاتم النبيين : ان المراد به انه لا يمكن ان تصدق نبوة أي نبي من الانبياء الا بخاتمهم ﷺ ، وكما ان قرطاس لا يكون مصدقا مستندا الى حين يطبع عليه بالخاتم ، فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعا عليها بخاتمهم وتصدقه ﷺ - تكون غير صحيحة -

(ملفوظات احمديّة : بترتيب محمد منظور الالهي القادياني. ص 290)(1).

ومما هو واضح كالشمس في رابعة النهار ان باب النبوة لا يزال مفتوحا بعد النبي ﷺ حقيقة النبوة : تأليف ميرزا بشير الدين محمود أحمد بن ميرزا غلام أحمد ، الخليفة الثاني للقاديانيين ص 228 (2) وحسبنا أن نشير هنا إلى أن ميرزا غلام أحمد يريد أن يبرر دعوته الهدامة باسم الرسالة السماوية . فلذا التجأ إلى فتح باب النبوة بدعوى ان رسالة الانبياء والرسول لم تختم بعد . وهذه المغالطات والمزاعم تتناقض كليا مع العقائد الاسلامية الثابتة بأدلة قطعية واضحة في القرآن الكريم والسنة وباجماع الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الاسلامية ، يقول الله عزوجل :

﴿ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾ (الاحزاب : 40) .

قال رسول الله ﷺ : ﴿فضلت على الانبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الفنائم ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ، وارسلت الى الخلق كافة ، وختم بي النبيون﴾ رواه مسلم والترمذي وابن ماجة .

وكل من ادعى انه تلقى وحيا من الله يعد خارجا على ملة الاسلام وكافرا في ذلك ، لأنه هدم ركنا من اركان الاسلام الخنيف ولعل من المناسب ، ان نشير هنا الى ان الميرزا غلام احمد وجد ضالته المنشودة عند الاستعمار الانجليزي وحماه ومكنه من نشر رسالته الهدامة ولا سيما حين كان يحارب فريضة الجهاد عند المسلمين .

5 - ميرزا غلام أحمد يهاجم فريضة الجهاد .

ولا ريب ان هذه النحلة الجديدة الهدامة ، تصطدم بأصالة الفكر الاسلامي . والتي خلقت تيارا متناقضا مع المقولات الاسلامية الثابتة مع

(1) ماهي القاديانية ص 34 .

(2) أضواء على الحركات الهدامة ص 28 .

العلم أن الإسلام قد قام بهذيب الثقافات القديمة التي دخلت في حظيرته ،
وأنه لم يأخذ من هذه الثقافات إلا ما فيه القوة والتقدم ، وما يتفق مع
مقوماته الجوهرية الثابتة في القرآن والسنة . ولعل هذه الحقيقة التاريخية
هي التي حفظت أصالتنا أمام تحديات الاستعمار القديم والجديد ، وخير
مثال على ذلك فريضة الجهاد التي نص عليها القرآن الكريم والسنة ، يقول
الله عزوجل : ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا
بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا
عظيما﴾ (النساء : 74) .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : «سأل رسول الله ﷺ : أي
الأعمال افضل؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ، قال : الجهاد
في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا؟ قال : حج مبرور» (متفق عليه) .
إلا ان ميرزا غلام احمد قد قام بمهاجمة فريضة الجهاد ونفاها لخدمة
النفوذ الاستعماري باعتباره الطاعة المشروعة لأولي الأمر فأمرى عميلا للحكم
الانجليزي في الهند وباكستان .

ولعل اقوى شاهد على هذه الحقيقة ما كتبه هو بنفسه في هذه القضية
وفي ذلك يقول : «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية
ونصرتها ، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الامر الانجليزي
من الكتب و النشرات ما لو جمع بعضها الى بعض لملا خمسين خزانة ،
وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية مصر والشام وكابل
والروم» (ترياق القلوب تأليف غلام أحمد القادياني ص 15) .
ويقول في محل آخر :

«لقد ظللت منذ حادثة مني - وقد ناهزت اليوم الستين - أجاهد
بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية
والنصح لها والعطف عليها ، وانفي فكرة الجهاد ، التي يدين بها بعض
جهالهم والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة» .

ملحق بكتاب شهادة القرآن من قلم غلام أحمد القدياني الطبعة السادسة
ص 10 .

ويقول في نفس الكتاب :

«انا مؤمن بأنه كلما ازداد اتباعي وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد ،
لأنه يلزم من الايمان بأني مسيح أو مهدي انكار الجهاد» (1) .

ومن هذه النصوص يتأكد لنا ان القاديانية قد نسخت وحرفت
فريضة الجهاد وارتبطت بالحركة الاستعمارية الهادفة لإبقاء المسلمين تحت
كابوس الاستعمار مع التقريب بين الاسلام واليهودية والمسيحية . وهذه
الدعوة باطلة فلقد بينها القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة ﴿ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى﴾
(البقرة : 120) .

فالاسلام يدعو صراحة الى اعلاء كلمة الله وتحطيم كل الطواغيت
الانسانية لتحقيق سلام الانسان وتمكين شريعة الله .

يقول الله عزوجل : ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد
الشيطان كان ضعيفا﴾ (النساء : 76) .

ان النتيجة الحتمية توصلنا الى ان الاستعمار هو الذي اوجد هذه المدرسة
التحريفية لإسقاط فريضة الجهاد من الاسلام ، واثبات الحكم البريطاني في
العالم الاسلامي فاعتمد على إذابة المسلمين عن طريق إشعال الفتنة بين
المسلمين ، وتركهم يدافعون ويتصارعون فيما بينهم .

ومن هنا حاول ان يكون طائفة تدين له بالولاء والحب والدفاع عن
مصالحه . وهذه الحقيقة قد افرزتها الدعوة القاديانية كما رأينا في تحليل
أصول هذه المدرسة .

(1) انظر : ثلاث رسائل عن القاديانية ص 9 - 10 .

6 - علاقة القاديانية بالاستعمار والصهيونية .

وعلى اي حال ، فان الاستعمار كان وراء هذه الحركة الهدامة الساعية الى وأد العقائد الاسلامية السليمة وتحريفها ولا أدل على ذلك من وجود العلاقة الوثيقة بين القاديانية والصهيونية العالمية .

ولعل اقوى شاهد على ذلك تأسيس مركزهم الذي أسس في حيفا إبان الإحتلال البريطاني حيث شرعوا في إرسال الدعاة إلى العالم العربي . فحين انسحبت بريطانيا من فلسطين وجدوا ضالتهم في الحركة الصهيونية التي شجعت بكل سخاء هذه الحركة التحريفية ، ووجدوا تحت لوائها الأمن والسلم والمساعدة ويقول المصدر القادياني نفسه في هذا الشأن مايلى : يقع مكتب التبشير الأحمدي على جبل الكرمل في حيفا - اسرائيل - ولنا مسجد ، ودار للتبشير ، ومكتبة عامة ، ومكتبة لبيع الكتب ، ومدرسة ويصدر مكتبنا مجلة شهرية : اسمها - البشرى التي توزع في البلدان الناطقة بلغة الضاد - وقد قام هذا المكتب بنقل الشيء الكثير من تعاليم المسيح الموعود الى اللغة العربية(1) .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن القاديانية لها ارتباطات عضوية بالصهيونية العالمية لاسيما الماسونية التي استغلت عواطف الناس ودعت الى الدين العالمي في بروتوكولاتها الهدامة ، ولقد اظهرت لنا الدراسة التحليلية المتعلقة بالحركات الهدامة ، أن الماسونية تستهدف خلق الثغرات والفجوات والممرات في العالم الإسلامي وشقه الى طوائف متناحرة ، لتكون عملية التذويب والاحتواء سهلة أمام الاستعمار الغربي والشرقي ، وثمة جانب آخر تجدر الإشارة إليه ان هناك أقلاما اسلامية تجدد هذه المدارس التحريفية باعتبارها ثورة حقيقية إصلاحية في المجتمع الاسلامي .إلا ان هؤلاء في الحقيقة فقدوا كل نقد موضوعي لتقييم منهج هذه المدرسة

التحريفية ، غير ان الحيرة ستزول إذا علمنا ان هؤلاء قد قصوا الحركة الاستشراقية في نظرتها إلى هذه التيارات الدخيلة على الإسلام .
ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى المستشرق جولد تسيهر اليهودي الذي يعد من أنصار المدرسة القاديانية واعتبرها حركة ثورية جديدة في الفكر الإسلامي الحديث .

7 - القاديانية والحركة الاستشراقية .

وحسبنا ان نذكر المستشرق جولد تسيهر اليهودي الذي أوغل في تقديس هذه المدرسة التحريفية زاعما بأن غلام أحمد قد برهن على صحة رسالته بالمعجزات والأخلاق .

وهكذا ينتقل التحريف والتزييف إلى حقائق ثابتة في الفكر الإسلامي ؛ ولكن نقول ان هذه الافكار تستهدف بالدرجة الأولى الى تكوين جيل مسلم يخضع لمقولات الاستشراقية ومن خلالها يحكم على صحة أو فساد رأي الإسلام في المشكلات التي يطرحها ويعالجها قديما أو حديثا ، بمنظور هؤلاء ، وحسبنا دليلا على ذلك أن نستعرض نضا من نصوص جولد تسيهر الذي يقول في ذلك : وقد جهر بدعوته (1) للمرة الاولى سنة 1880م ، ولكن لم يكثر اتباعه كثرة ظاهرة الا منذ سنة 1889م . وقد برهن على صحة رسالته النبوية بالآيات والمعجزات والتنبؤات التي ظهر صدقها ، وحدث كسوف للشمس وخسوف للقمر في رمضان 1893م فاستعان بهما لاثبات مهديته ، إذ ورد في الاحاديث والآثار ان ظهور المهدي سيكون مصحوبا بمثل هذه الظواهر الفلكية .

غير ان النبي الجديد امير من امراء السلام ، اذ انكر الجهاد واسقطه من الفرائض الاسلامية وحبب الى اتباعه السلم والتسامح ونهاهم عن التعصب ،

(1) أي ميرزا غلام أحمد .

وجد في أن يبعث نفوسهم ميلا للعلم والثقافة (1) .

عجبا كيف يؤمن ويؤكد جولد تسيهر مزاعم غلام أحمد ؟ ثم اثبت له النبوة والرسالة كما هو الشأن عند الرسل عليهم السلام . فهذه النحلة الهدامة . قد صبغت رسالته ببعض الأعمال التي قام بها ، زاعمة بأنها معجزات الرسل ، وأدلة حاسمة في صحة نبوته كخسوف القمر وكسوف الشمس اللذان حدثا سنة 1894م ، وتنبأها ، ثم ادعى انه حدث ذلك بمحض ارادته ، وبوحي منه .

إلا أن علماء الفلك يعرفون هذه الحقائق العلمية قبل حدوثها بمئات السنين ، ولا أدل على ذلك من وجود علم الفلك الذي ساهم فيه بعض علماء اليونان والعرب قديما كالبيروني ، الذي ادرك هذه الحقيقة العلمية ولعل من المناسب أن نذكر الاستاذ الكبير (ثناء الله) حين فند أراجيفه حول رسالته المزعومة في جريدته المعروفة - اهل الحديث - فيرزا غلام أحمد ادعى ان خصمه سيوت قبله لأنه خارج عن ملة الله على زعمه إلا ان تنبؤاته لم تتحقق فلقد مات غلام أحمد قبل خصمه بعدة سنوات وجاء في رسالته مايلي (1) : يامرسي أدعوك أخذا بحظيرة القدس لك ان تفصل بيني وبين المولوى ثناء الله انه من كان مفسدا في نظرك كاذبا عندك فتوفه قبل الصادق منا ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ . ومها يكن من امر ، فلا بد ان نشير كذلك الى ان المستشرق جولد تسيهر ، لم يلتزم بالروح الموضوعية التي تتطلب التحليل والنقد ، فادعى ان ميرزا غلام أحمد قد اسقط فريضة الجهاد وامر اتباعه بعدم التعصب وحثهم على التعلم والثقافة .

فالاسلام لا يقر بالحرب إلا دفاعا عن النفس وحرية العقيدة وإثبات شريعة الله فالسيف لا يرفع الا على الاشخاص الذين يعتدون على الديار

(1) العقيدة والشرعية في الإسلام ص 292.

(2) ثلاث رسائل عن القاديانية ص 72 .

الإسلامية ، ويقول الله عزوجل : ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة : 190) .

اما بالنسبة الى القضية الثانية فالاسلام قد حارب التعصب العرقي وأثبت المساواة وفرضها على الفكر البشري ويقول الله عزوجل : ﴿يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات : 13) .

والرسول ﷺ يقول في هذا الأمر : الناس سواسية كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . اما القضية الثالثة فإن جولد تسيهر تجاهل تماما النصوص الصريحة التي تدعو إلى العلم والمعرفة في الإسلام الصحيح . ولم يبين مواطن المغالطات التي قام بها .

ألم يقل الله عزوجل : ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ (سورة الزمر : 9) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من خرج في طلب العلم ، فهو في سبيل الله حتى يرجع . رواه الترمذي وقال حديث حسن .

إلى هنا نستطيع ان نقول : اننا قد عاجنا القاديانية ، وألقينا أضواء على أهم عناصرها وبيننا ان تلك الأسس هي انعكاس طبيعي للحركة الاستعمارية والصهيونية واستكمالاً لموضوع المدارس التحريفية ، علينا ألا نهمل مدرسة أخرى حاسمة قد ظهرت في الفكر الإسلامي المعاصر ، فهي المدرسة العلمانية ، فمن تزعمها ؟ فهاهي أهدافها ؟ كل هذه الاسئلة سنجد لها الجواب من خلال التحليل القادم بحول الله .

د - المدرسة العلمانية .

1 - المقدمة :

استعرضنا في الصفحات السابقة المقولات الاساسية عند المدارس التحريفية : البابية - البهائية - القاديانية . وقلنا ان هذه التيارات تتناقض كليا مع اركان الإسلام .

غير ان هناك مدرسة اخرى ، لا بد أن نشير إليها ، والتي مثلتها الحركة العلمانية وهدفها فصل النشاط الديني عن الدولة . وهذه الدعوة قد وجدت تربة خصبة في اوروبا مع بداية القرن السابع عشر . لان الكنيسة المسيحية قد فشلت في التوفيق بين العلم والدين .

يقول الاستاذ رمضان البوطي : وتعود نشأة العلمانية في نظام الحكم والحياة الاجتماعية الى تاريخ ثورة أوروبا على الكنيسة ، بعد ان تفاقم شرها واشتدت ضراوتها وازداد بغيتها على العلم والعلماء كما هو معروف ومدرس وقد سميت تلك الثورة في كثير من الاحيان ، تلطيفا لها ومراعاة لمشاعر رجال الدين واحتراما لمظهر الدين نفسه بالاصلاح الديني (1) .

2 - لا علمانية في الاسلام :

ان هذه الحقيقة التاريخية التي كانت في اوروبا لا يمكن تطبيقها على الاسلام الأصيل بأي حال من الاحوال .

فالاسلام يركز على الايمان والعلم ، ويدعو الى اعمال العقل الذي يجعل صاحبه قادرا على النظر الثاقب الى ظواهر الوجود نظرة نقدية قائمة على البرهان العقلي .وهو لا يحتكر العلوم ولا يكتبها بل يجعلها عامة ويدعو الى نشرها بين افراد المجتمع البشري ثم يحث الناس على المزيد من التعلم يقول الله عزوجل :

﴿وقل ربّ زدني علماً﴾ (طه : 114) .

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الامراء : 85) .

﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا

أولوا الألباب﴾ (آل عمران : 7) .

اما بالنسبة الى الاحاديث النبوية الشريفة التي تدعو الى مواصلة التعلم ونشر العلوم في المجتمع الانساني فأكثر من ان نحصيها يقول الرسول ﷺ :
من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع (رواه الترمذي) .

وعن ابي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : من سئل عن علم فكتمه ، ألجم بيسوم القيامة بلجام من نار . رواه ابو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

3 - العلمانية مغالطة تستهدف تحطيم الأديان .

ان فكرة العلمانية في اصلها كانت تطلق على المعارف العلمية القائمة على التجريب والبراهين الرياضية ، فهي تهدف بالتالي الى تفسير ظواهر الطبيعة وظواهر المجتمعات الإنسانية على اساس المنهج العلمي الصارم . ثم تطورت هذه الفكرة حتى امست تطلق على الفصل بين الدين والسلطة السياسية ، وهي في زعمها لا تؤيد ولا تعارض الدين وهي تقف موقفا محايدا إزاءه . ولكن هذا الحياد المزعوم مهما كان سوف يصطدم بالضرورة ، ببعض المفاهيم الاساسية في الفكر البشري كبداً السببية ، ومبدأ الحتمية والغائية وهذه المبادئ تجعلنا نطرح على انفسنا تساؤلات وأسئلة عن طبيعة العلة الاولى التي لا تفتقر في وجودها الى علة سابقة لها ، أي الله عزوجل . ويحسن أن نذكر هنا ؛ ان الحياد المزعوم يستهدف الى انكار الخالق عزوجل ، يقول أبو المدرسة العلمانية جول فري¹ لتلميذه جورس :

(1) مفكر فرنسي ذو نزعة إلحادية (1828م - 1905م) أهم آثاره الروائية - رحلة إلى مركز الأرض .

تسألني عن هدي؟ ليس لي من هدف إلا أن أرى البشرية بدون إله ، اما بالنسبة الى الوزير الفرنسي ذو النزعة العلمانية فيقول(1) : «بالامس القريب تحركنا على اساس لا ديني ، وانتزعنا من الوجدان البشري معاني الايمان ، وأطفأنا في السماء أنوار لن نشعلها من جديد أبدا» (2) .

4 - علمانية مصطفى كمال أتاتورك والاسلام .

وفي إطار هذا المناخ الفكري الذي شرحناه ظهر مصطفى كمال أتاتورك كزعيم ورائد للمدرسة العلمانية في العالم الاسلامي ، لقد نظر من خلال الحضارة الاروپية ومنظورها الى مشاكل الخلافة العثمانية وقام بالفصل بين الدين والدولة ، متأثرا بالنهضة الاروپية ورجالاتها ، مؤمنا بالقومية التركية الهادفة الى تترك تركيا في ماضيها ومستقبلها وحاضرها . الا ان تجربته التي مرت بها تركيا قد اصبحت تعيش على حافة الازدواجية بين العالم الاسلامي والعالم الاروبي ، وحسبنا دليلا على ذلك ان تركيا لا تزال تعاني التخلف في جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية رغم الثورة العلمانية التي حملها مصطفى كمال . ولم يعط أي وزن لماضي تركيا الاسلامي ، وقد أسقط المفاهيم الاسلامية ، واستبدلها بمفاهيم غربية خالصة ، وبذل كل طاقاته لإزالة كل مظاهر الدين الاسلامي .

ولعل من الأحسن بنا أن نشير الى ملامح شخصيته لتكون الرؤية واضحة ، وأدق .

5 - الملامح العامة لشخصية مصطفى كمال :

في سنة 1881م ، ولد مصطفى كمال بمدينة سالونيك اليونانية ، التي كانت تحت سيادة الاتراك التي دامت حوالي خمسة قرون .

(1) إشارة إلى الوزير الفرنسي - رينه فيسياني .

(2) الإسلام ومستقبل الحضارة لصبحي الصالح ص 331 .

أما وفاته فكانت في 10 نوفمبر 1938م (1)، لقد ظهرت عليه ملامح الحياة العسكرية منذ صباه ، فدخل المدرسة الحربية الإعدادية سنة 1893م ، أما تخرجه الأخير فكان 1902م ، من كلية أركان الحرب باستنبول ، وبعد ذلك التحق بالجيش الخامس المعسكر في الشام .
ولقد اشترك في عدة عمليات حربية مظفرة وكان النجاح حليف الأمة التركية الإسلامية . وبدأت ملامح شخصيته في الظهور على المستوى العالمي حين شن هجومه الناجح على الغزاة اليونانيين في 26 أغسطس سنة 1922م فدخل مدينة أزمير في 10 سبتمبر 1922م ، فاتحا وظافرا على الاعداء .

وفي هذا المجال علينا ان نذكر حين وجه رفضه واحتجاجاته في 16 مارس سنة 1920م الى الدول العظمى التي احتلت مدينة استنبول وهدد بالزحف على محاور هذه الدول ان لم تسحب قواتها مع العلم ان السلطان محمد السادس فقد سلطته الفعالة فأسمى سلطانا بدون قوة وأصدر امرا باعدامه لخروجه عن سلطته ، فأقام مصطفى كمال أتاتورك حكومته في انقرة .

وفي سنة 1924م ، افتتح الجمعية الوطنية في انقرة بخطاب دغا فيه الى الغاء الخلافة فقد جاء في خطابه مايلي : أيها السادة لقد اغتصب السلطان العثماني السيادة من الشعب بالقوة...وبالقوة اعترم الشعب ان يستردها منه، إن السلطة يجب ان تنفصل عن الخلافة وتلغى...وسواء وافقتم أم لم توافقوا فسوف يحدث هذا ، كل ما في الامر أن بعض رؤوسكم سوف تسقط في غضون ذلك(2) .

وهكذا اعتمد مصطفى كمال أتاتورك على الدكتاتورية في فرض آرائه ، وحول تركيا من حظيرة العالم الاسلامي الى حظيرة العالم الغربي الخالص .

(1) - أتاتورك حلمي مراد ص 11 - 14 .

(2) - حلمي مراد : مصطفى كمال أتاتورك ص 193 .

6 - العلمانية الكمالية وعلاقتها بالتيارات الماسونية والغربية :

نحن لا نستطيع ان نقيم النزعة العلمانية الكمالية في ظهورها ، الا اذا رجعنا الى ماضي الخلافة العثمانية التي تعد اعظم دولة إسلامية عملاقة التي ظهرت بين القرنين 14 و16م ، وبلغ مجد عزها وقوتها في عهد سليمان القانوني (1494 - 1566م) . لقد كانت جيوشه تدق ابواب قينا قلب اورپا ، إلا ان هذه العزة لم تدم فبدأت مظاهر التدهور السياسي والضعف الخلقي يدبان في جسمها نتيجة الصراع حول السلطة وشرع قواد الإنكشارية يسيطرون على زمام الأمر ، وانتشرت الرشوة والفساد والمجون ، وانهارت الخلافة سنة 1918م أمام ضربات الحلفاء ، فهنا ألغيت الخلافة العثمانية في 3 مارس 1924م من طرف الجمعية الوطنية التي أسسها مصطفى كمال أتاتورك وبهذا القرار طويت الخلافة العثمانية .

وعلى اية حال فإن هناك عوامل داخلية موضوعية هي التي عجلت بسقوط الخلافة العثمانية ، لاسيما ان السلطة لم تكن القدوة الحسنة في سلوكها بل التجأت الى التمييز بين افراد الأمة الاسلامية ، حيث اعتمدت على فكرة التريك في سياستها وأهملت الأخلاق الاسلامية الفاضلة ، فهذه حقيقة تاريخية لا مراء فيها .

لقد سجلتها الكتب التاريخية من خلال الحوادث والوقائع التاريخية ، مع إهمالها للعلم وفتح باب الاجتهاد أمام قضايا العصر . ولنعد بعد هذا الى المفهوم العلماني عند مصطفى كمال أتاتورك ، الذي اعتمد فيه على التخطيط والتنظيم في شؤون الدولة التركية الحديثة ، مبتعدا عن الدين الاسلامي وكان معيار الاختيار لديه المنهج العلماني الخالص ، لتسيير شؤون الدولة الجديدة .

ومن هنا ... نطرح السؤال التاريخي ، فهل كان مصطفى كمال أتاتورك حياديا امام الحركات الهدامة كالماسونية والصهيونية والاستعمارية ؟ غير ان تاريخه الشخصي يؤكد لنا انه كان ماسونيا في تفكيره وسلوكه ،

ولقد انضم إلى جماعة الاتحاد والترقي (1) . التي أنشئت في سالونيك ووجدت المساعدة المالية من يهود سالونيك الفارين من محاكم التفتيش باسبانيا .
ولقد لعب الاتحاديون دورا جوهريا في اعداد المناخ العام ، وذلك بعزل الدين الإسلامي عن الخلافة العثمانية والتهجم على الصحابة رضى الله عنهم ، واللغة العربية .

يقول علي حسن الخربوطلي : استولت جمعية الاتحاد والترقي على الحكم في استنبول سنة 1908م ، وبدأت الصحف التركية بالاشادة بأعجاد الطورانيين وشم العرب ، وتدعو الى تطهير اللسان التركي من الألفاظ العربية ، ورفع أسماء الخلفاء الراشدين من المساجد (2) .

وأيا كان الأمر ، فإن مصطفى كمال أتاتورك كان يحضر جلسات الاتحاد والترقي التي كانت تحت زمام الماسونية ، فأمسى يناقش أسلوبها العلمي للتعجيل بإسقاط الخلافة العثمانية : ويقول ارمسترونج الملحق الحربي لبريطانيا في تركيا سابقا مايلى : «ثم باح له واحد منهم أخيرا بان منظمة ثورية كبيرة ألقت في سالونيك واطلق عليها اسم - الاتحاد والترقي - وبأن اجتماعاتها تعقد في بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية » .

ومضت فترة طويلة راقبت جماعة الاتحاد والترقي خلالها مصطفى كمال مراقبة خفية دقيقة ، ثم دعتة الى الانضمام لصفوفها بعد ان وثقت بأمانته وحسن نواياه ، وبدأ الاعضاء القدامى يدربونه على نظم جمعيتهم ثم ألحق بإحدى الشعب التي تتألف منها الجمعية (3) . ولا ريب ان مصطفى كمال أتاتورك قد مثل دور الماسونية أحسن تمثيل ،

(1) حلمي مراد : كمال أتاتورك ص 33 - 34 .

(2) القومية العربية لعلى حسن الخربوطلي ص 171 .

(3) كمال مصطفى أتاتورك الأرمسترونج - حلمي مراد ص 33 .

وذلك بإسقاط الخلافة العثمانية ، وتحويلها الى دولة غربية علمانية تجلت في قانونها الاوروبي ، وإحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ومحاربة كل مظاهر الإسلام ، ورغم هذا فإن تركيا لم تقدم شيئاً إلى الحضارة المعاصرة بل لا تزال ذيلها . ويقول في هذا الشأن أرنولد توينبي : ان تركيا حين تغربت لم تقدم شيئاً إلى الغرب أو جديداً إلى الحضارة وعاشت عالة على القوانين والمنظمات الغربية(1) .

اما الفكرة الثانية فإنها تتجلى في الاستعمار الغربي الذي حاول عزل تركيا الكمالية عزلاً تاماً عن العالم الاسلامي وتجريدها من ماضيها وإن بروتوكولات لوزان الموقعة بين الحلفاء والدولة الكمالية سنة 1923م ، قد بينت الشروط التالية(2) .

1 - قطع كل صلة بالاسلام .

2 - إلغاء الخلافة .

3 - اخراج أنصار الخلافة والاسلام من البلاد .

4 - اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام .

وهكذا نلاحظ ان المدرسة الكمالية تعمل في الإطار الغربي الخالص ، ثم ان الحركة الاستشراقية ذاتها تزكي هذا التيار الناشئ .

7 - تركيا الكمالية في نظر المدرسة الإستشراقية .

إن الحركة الاستشراقية في جوهرها ما هي الا مظهر من مظاهر التغريب والتحريف ، ولقد اكد كارل بروكلمان على ان الدين الاسلامي كان عائقاً في تطور تركيا . وان تركيا قد ادركت هذه الحقيقة منذ ثورة مصطفى كمال أتاتورك على حسب زعمه ، الا ان هذه الدعوة ما هي الا امتداد طبيعي للحركة الإستشراقية التي شرع

(1) منار الإسلام جانفي 1981م ص 106 .

(2) منار الإسلام العدد الثاني سنة 1981م ص 103 .

مصطفى كمال في تطبيقها ، ولا ادل على ذلك ما كتبه بروكلمان ، وقال : «ولكن تحرر الاتراك من السيطرة الفكرية التي كان يفرضها عليهم ممثلو الإسلام المتحجرون ، جعل القيم الدينية الإسلامية الصحيحة قريبة المنال من افراد الشعب . وفي هذه الحقبة ازدهرت الفنون في سرعة تدعو الى الدهشة ، بفضل الرعاية النشيطة التي احاطها بها رئيس الجمهورية» (1) .

ان هذا النص ينطوي على المغالطات ، ولعل بروكلمان يدرك قبل غيره ، ان الاسلام لم يكن يوما عائقا امام النشاط العلمي ودعا الى الأخذ بأسباب القوة وفتح الاجتهاد ازاء المشاكل المستحدثة (2) .

اما الفكرة الثانية القائلة بأن رئيس الجمهورية شجع الفنون ، فهذه مغالطة أخرى . في سنة 1931م ، بلغ احتقار ماضي تركيا اذ بيعت وثائق وكتب نفيسة لبلغاريا بدعوة انها أوراق لا فائدة فيها ، مع العلم أنه يعلم ان الثقافة تشتمل الماضي والحاضر ، ومهما يكن من أمر فان هذه الحركة الإستشراقية لم تتحرر من عقدها الإستعمارية ، ومخططاتها التبشيرية.

8 - خلاصة عامة عن المدارس التحريفية :

في الصفحات السابقة ، تحدثنا عن الحركات الهدامة - الماسونية - الصهيونية - الإستشراقية ، وقلنا إن هذه المدارس كانت مدخلا لظهور المدارس التحريفية - البهائية - القاديانية - العلمانية .

واستكمالا للفكرة الموضوعية بينا أن هناك علاقة وطيدة بين هذه النزعات التي تريد تخريب العالم الإسلامي واخراج المسلمين من اسلامهم بمسلمين مرتدين الذين كونهم الاستعمار في مدارسه الخاصة ، ودرهم على

(1) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ج 5/ ص 23 .

(2) راجع : الرد في مقدمة هذه المدرسة العلمانية .

طرق التزوي والمغالطات وأمدم بأسباب القوة لضرب العقيدة الإسلامية الصحيحة في عقر ديارنا وأشعال نار الفتنة بين أبناء الأمة الإسلامية بابتداع وخلق الحركات التي تشق العالم الإسلامي إلى أحزاب متناحرة .
ليستغل العالم الإسلامي اقتصاديا وسياسيا وثقافيا .

وفي إطار هذا المناخ الفكري المضطرب استطاع الإسلام أن يقف صامدا متحديا هذه التيارات التحريفية والهدامة بفضل المدارس الإصلاحية والقرآنية التي بينت أصالة الإسلام الذي له منهجه الخاص القائم على القرآن والسنة ، ومن خلال هذين المصدرين نستطيع أن نرسم الطريق السليم في الحضارة المعاصرة ، لأن الإسلام قد أعطى الجواب الحاسم لجميع مشاكل الإنسان التي تواجهه في حياته اليومية .

فالمدارس الإصلاحية والقرآنية تؤمن أن الحل الواحد يكمن في الإسلام لحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية ، غير أن الرؤية تختلف بين المدرستين من حيث معالجة الوضع الإسلامي .
وإن التحليلات القادمة سوف تبين طبيعة منهجيهما .

الفصل الثالث

المدارس السلفية الحديثة

٢

مقدمة :

بعد تلك اللوحة العامة التي اوردناها في الفصل السابق ، عن المدارس التحريفية وأثرها في الفكر الاسلامي القديم والحديث ، فإنه يجدر بنا في هذا الفصل ان نعالج المدرسة السلفية الحديثة التي وقفت موقفا حازما إزاء العقيدة الاسلامية الزائفة عن منهجها الصحيح ، حيث قامت بتطهيرها من مظاهر الشرك المتجلى في زيارة القبور والاضرحة والتبرك بها ، وأخذها واسطة وشفيعا بين الانسان وربّه . ثم انها ناهضت النزعات العقلية المتطرفة التي أخذت الفكر الفلسفي طريقة لفهم الشريعة الاسلامية .

ومهما كان الامر ، فان النزعة السلفية الحديثة في حقيقة امرها ، تعود الى المدرسة السلفية القديمة نسبيا ؛ ونعني بهذا مدرسة ابن تيمية المعروف بأبي العباس أحمد بن حليم بن عبد السلام تقي الدين بن تيمية المولود بمران سنة 661 هـ - 1263 م والمتوفى سنة 728 هـ - 1328 م بدمشق .

ولقد دافع عن الاسلام دفاعا مستميتا ضد النزعات الحادية والارسطية(1) والفلسفية والتصوفية .

والجدير بالملاحظة انه يرى ان العقل لا يمكن ان يكون دليلا لاثبات الادلة الشرعية لأنها مستغنية عن العقل ، بل العقل هو الذي بحاجة الى الشرع، اما تقديم العقل قبل الادلة الشرعية فهذا هو الخطأ والضلال .

ويقول في هذا الشأن مايلي : «إن العقل مصدق للشرع بكل ما أتى به الشرع ، والشرع غير مصدق للعقل في كل ما أخبر به ، ولا العلم

(1) نسبة إلى ارسطو (384 - 322 ق/م) يعد من أكبر الفلاسفة اليونانيين أهم آثاره الأورغانون .

يصدق العلم موثوق على ما يخبره» ثم يفرق ابن تيمية بين الرسول وبين أصحاب العقول في العلوم ويقول : «إنَّ علم الرسل غير علم العلماء ، فالرسل تكتسب العلم بالوحي من الله ، أما العلماء فإنهم يكتسبونه بالاجتهاد والاطلاع ، وإن من الناس من يستطيع أن يصير عالماً بالصناعات العلمية والعملية ، والعلوم الاجتهادية كالطب وغيره ، ولكن لا يمكن لمن لم يؤت رسالة النبي أن يصير نبياً . فالنبوة لا تنال بالاجتهاد ، كما هو مذهب أهل الملل ، ولا تنال بالاكْتِسَاب كما يقول الملحدون من الفلاسفة» (1) .

ومهما كان الامر فان ابن تيمية ، يعد من العلماء الأعلام الذين ساهموا في اثراء الفكر الاسلامي بمؤلفاته القيمة ، دفاعا عن اصالة الرسالة المحمدية ويمكن ان نشير الى بعض منها .

1 - نقض المنطق ، 2 - الرد على المنطقيين ، 3 - منهاج السنة النبوية .

4 - الفرقان بين اولياء الرحمان واولياء الشيطان .

ولا عجب اذن ستكون المدرسة السلفية الحديثة تعتمد على منهاج ابن تيمية في اسس تفكيرها ، ولذا جاءت الدعوة الوهابية كرد فعل لجميع النزعات الدخيلة في الاسلام ، فأحييت من جديد مذهب ابن تيمية .

أ - المدرسة الوهابية :

1 - التعريف بصاحب المدرسة :

ان هذه المدرسة تنسب الى الامام محمد بن عبد الوهاب المشرقي التيمي المولود سنة 1115هـ 1700م ببلدة العينية والمتوفى سنة

(1) منطق ابن تيمية - محمد حسن الزين ص 206/205 .

1206هـ 1792م (1) .

2 - ثقافته ومؤلفاته :

أما ثقافته فقد كانت دينية خالصة حيث كُرس مؤلفات ابن تيمية ، فأُمسى تابعا له في القول والعمل ، ولقد أفرغ الاسلام في قالب العمل الجدي ، وطهر العقيدة الاسلامية من شوائب البدع، ومظاهر الشرك، مهما كان نوعه. فكانت دعوته تعتمد على الكتاب والسنة والسلف الصالح والرد على شبهات المشبهين ، واصبح كل نشاطه الفكري يعتمد على بيان وتوضيح اصالة العقيدة الاسلامية وترسيخها عن طريق العمل النظري والعملي معا . كما تجدر بنا الاشارة هنا الى بعض مؤلفاته الفكرية التالية التي عاجلت هذا الجانب العقائدي .

أ - كتاب التوحيد ، ب - كتاب كشف الشبهات ، ج - كتاب اصول الإيمان وفضائل الاسلام ، د - مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد . ومهما كان الامر فان اصول دعوته استهدفت توضيح التوحيد وإزالة الشبهات وتصحيح مسار المسلمين يارجاعهم الى الطريق المستقيم . من هذه الخاصة تمكن الاشارة إلى اصول دعوته .

3 - المدرسة الوهابية واصول دعوتها :

إن اصول الدعوة الوهابية تتلخص في الأصول التالية :-

(1) انظر : الجامع الفريد ، مجموعة الرسائل الوهابية .

أ - إخلاص التوحيد لله :

إن الدعوة الوهابية تؤكد على هذا الاصل الجوهرى الذى تقوم عليه كل اركان الاسلام ، مع العلم ان إخلاص التوحيد لله لا يأتي الا عن طريق صدائية التي هي صفة من صفات الله عزوجل ، ومعناها : انه يمتنع ان ... يشارحه سبحانه شيء في ماهيته ، وصفات كاله ، وانه منفرد بالإيجاد والتدبير العام ، بلا واسطة ، ولا معالجة ولا مؤثر سواء في أثر عموما .

اي إن الله عزوجل واحد لا جنس له ولا نوع له ولا فصل له ، ولا ند له ولا يشاركه في الكمال المطلق اللانهائي أي شيء والله تعالى يقول : ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى : 11) .

ومن هذا المنطلق الراسخ ، فإن الحركة الوهابية قد قاومت جميع مظاهر الشرك والوسائط بين الله وعباده . فلا واسطة بين الله وعبده إلا الأعمال الصالحة . وكل من اتخذ أية واسطة بينه وبين الله سواء كان وليا صالحا ، أو صريحا أي أي شيء آخر يعد هذا الفعل خارجا ومنافيا لوحداية الله عزوجل فمن صرف شيئا لغير وجه الله فهو مشرك ولنتدبر هنا قول الامام محمد بن عبد الوهاب حيث يقول : «إعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض :

الاول - الشرك في عبادة الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء : 48) .

وقال : ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار﴾ (المائدة : 72) . ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن والقبر .

الثاني - من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم

الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً .

الثالث - من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

الرابع - من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه . أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر .

الخامس - من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر» (1) .

2 - مناهضتها لزيارة القبور والاضرحة :

أما الأصل الثاني الذي اعتمد عليه محمد بن عبد الوهاب في تأصيل دعوته ، فهو محاربته جميع مظاهر الوساطة التي يتخذها الإنسان بينه وبين خالقه ، كاتخاذ أضرحة الأنبياء والأولياء طريقة للتوسل لله عز وجل ثم تعظيمها ببناء القباب ، والصلاة عليها وتقبيليها وتقديم لها النذور في مناسبات خاصة ، فإن هذه الحالة تعد اشراكاً بالله عز وجل ومظهراً من مظاهر الوثنية الجاهلية التي قاومها الرسول ﷺ والصحابة ، وفي هذا الشأن يقول محمد بن عبد الوهاب مايلي : «روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وعن ابن عباس رضي الله عنها قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . (رواه أهل السنن) .

(1) انظر : الجامع الفريد ص 283 ، اكتفينا بذكر هذه البنود الخمسة أما المتبقية فهي شارحة لها.

3 - عدم فصلها بين القول والعمل :

إن الدعوة الوهابية تصر على الجانب التطبيقي في الاسلام ، حيث تؤكد على ان التوحيد بدون تطبيق فرائض الاسلام لا معنى له .

يقول محمد بن عبد الوهاب : « لا خلاف ان التوحيد لا بد ان يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر ، معاند كفرعون وإبليس وأمثاله » (1) .

ويقول أيضاً : اذا كنت تقرأ من صدق الرسول في كل شيء وجد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع (2) .

وهكذا نستطيع أن نقول : ان الدعوة الوهابية انحصرت في الركنين الاساسيين .

1 - إخلاص التوحيد لله عزوجل وحده وتطهير عقيدة المسلم من جميع مظاهر الشرك والنفاق والوساطة .

فالإنسان المسلم لا يمكن أن يلتجئ الى الله إلا عن طريق عمله الصالح ، فلا ينفعه أحد في عمله الأخروي مهما كانت قوته سواء نبياً أو ملكاً أو ولياً صالحاً ، ان هؤلاء لا يدفعون عنه شراً ولا يجلبون له منفعة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

(1) المصدر السابق ص 241 .

(2) المصدر السابق ص 236 .

أما الأضرحة القائمة في الأرض وزيارتها في مناسبات معينة وتقديم لها النذور لجلب المنفعة ودفع الضرر، فهذا العمل يعد شركاً وبدعة منكراً . وهكذا لاحظ ، أن أغلبية المسلمين أمسوا بعيدين عن جوهر الإسلام لاسيما الفصل بين القول والعمل . إن التوحيد يعتمد على الإيمان الصادق والقول والعمل فلا انفصام إذن بين الإيمان العقائدي والإسلامي العملي هذه هي الصورة الإسلامية السليمة التي كان عليها الصحابة (رضي) . ولعل من المناسب أن نذكر أن هناك دعوة سلفية إصلاحية أخرى في المغرب الإسلامي تشبه إلى حد كبير الدعوة الوهابية ، وهذه الدعوة هي الحركة السلفية السنوسية ، والتي سوف نشرح أسس أفكارها في الصفحات القادمة إن شاء الله .

ب - المدرسة السنوسية :

أ - التعريف بصاحب المدرسة :

إن المدرسة السنوسية (1) ، تنسب إلى العالم الجزائري محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المولود في مستغانم 1202هـ - 1787م والمتوفى 1276هـ - 1859م بزاوية الجغبوب - ليبيا .

ولقد نشأ في عائلة علم وصلاح ودين والجدير بالتنويه ، أنه قد درس العلوم الفقهية والمذاهب الإسلامية والفلسفية وبعض العلوم الفلكية ، وبعد أخذ هذه المعارف من مسقط رأسه ، انتقل إلى العالم الإسلامي الشرقي ، حيث درس نفسيات ابنائه ، ثم إمامه بالعوامل المؤثرة في مسيرة

(1) انظر : عادل نويض - معجم أعلام الجزائر ص 179 .

العالم الإسلامي آنذاك وأيا كان الأمر ، فإن الإمام محمد بن علي السنوسي أمسى عالما ، وناهجا لنفسه مدرسة خاصة تعتمد على الكتاب والسنة وأثار السلف الصالح مع فتح باب الاجتهاد إزاء القضايا الجديدة ، وهنا شرع في تأسيس الزوايا الفكرية ، حيث أسس أول زاوية في الجبل الاخضر بليبيا خلال سنة 1257هـ فسمها الزاوية البيضاء ، فانتشر أنصاره في تأسيس عدة زوايا في ليبيا وغرب افريقيا وشرقها .

ب - نشاطه الفكري (1) :

والجدير بالملاحظة ان محمد بن علي السنوسي قد ترك عدة مؤلفات فكرية التي تدل على مدى مساهمته في الفكر الاسلامي الحديث ، واعطائه دفعة جديدة ، ويمكننا ان نشير الى بعض هذه الآثار الفكرية التالية .

1 - بغية المقاصد وخلاصة المراد .

2 - إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن .

3 - فحم الاكباد في مواد الاجتهاد .

4 - نزهة الجنان في اوصاف مفسر القرآن .

5 - رساله الفلاح في الفتح والنجاح .

ويحسن ان نذكر هنا ، ان السنوسي قد تأثر تأثيرا عظيما بالعوامل الزمانية والمكانية التي وجدت فكره فدفعته الى اصلاح العالم الاسلامي .

ولعل أقرون شاهد على هذه الحقيقة ، اجتلال الفرنسيين

لبلاده الجزائر . وكان هذا العامل التاريخي ، هو العامل الحاسم الذي دفعه الى مقاومة الاستعمار الأروبي ، عن طريق تكوين الاجيال المسلمة القادمة ، التي سوف تحمل مشاعل الثورة ضد الوجود الاستعماري في شمال افريقيا وليبيا .

ومن هنا اعتقد إعتقادا جازما أن العالم الإسلامي في حاجة الى اصلاح وتغيير لبناته الاجتماعية من الداخل ليقاوم الغزو الاستعماري الذي بدأ ينهش العالم الاسلامي ، بدأ بالجزائر التي لم تستطع الدولة العثمانية على حمايتها والدفاع عنها ، ولقد عبر عن هذه الحقيقة في هذا النص الذي يدل عن احساسه وتطلعاته نحو اصلاح العالم الاسلامي ، فيقول محمد بن علي السنوسي في هذا الصدد مايلي : « افكر في العالم الاسلامي فبالرغم من سلاطينه وأمرائه ورؤسائه وعلمائه ، فهم لا يزدون على ان يكونوا كقطيع من الغنم الذي لا راعي له . بكل محل من محلات الاسلام تجد المسلمين وعلماء الدين ، ولكنك لا تجد في العالم الاسلامي مرشدا حقيقيا تكون غايته سوق الجميع الى هدف واحد ، ان ديننا الحنيف دين توحيد أسس على الاتحاد ، ولكن الخلاف والتفريق قد سادا جميع النواحي . وان المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أيدي المسلمين في كل وقت وبسرعة البرق ، فالاسلام في حالة من التدهور الخفيف وهو ما فكرت فيه » (1) .

(1) انور الجندي «الفكر والثقافة المعاصرة» في شمال افريقيا ص 21 .

ج - أسس الحركة السنوسية :

انطلاقاً من المفاهيم والاحاسيس التي ضمنها النص ، ندرك أن الحركة السنوسية حركة تصحيحية نابغة من واقع العالم الاسلامي حيث استهدفت تصحيح الاطار الاجتماعي ، فربطت بين القول والعمل ولا أدل على ذلك من تأسيسها عدة زوايا التي انتشرت بسرعة فائقة من السنغال الى شرق السودان فكانت هذه الزوايا ، تقوم بنشر الاسلام ومحاربة الوثنية ومظاهرها وامست هذه الحركة حاجزا أمام الزحف الاستعماري والجدير بالتنويه ، ان هذه الحركة تعتمد على الأسس التالية ، كما بينها أنور الجندي :

- 1 - عودة الاسلام الى منابعه الاولى .
- 2 - تطهير العقيدة من ادران البدع والخرافات .
- 3 - توحيد المذاهب ، وجمع العالم الاسلامي على وحدة حقيقية .
- 4 - فتح باب الاجتهاد .
- 5 - نشر الاسلام في البلاد التي لم ينتشر فيها .
- 6 - مقاومة النفوذ الاجنبي . (1)

والى هنا نستطيع أن نقول ان الحركة السنوسية ، استطاعت ان تحارب البدع والخرافات التي ألصقت بالإسلام ، وحررت العقول من الجمود الفكري وأيقظت النفوس من نومها العميق ، فاستطاعت ان تجسد مقولاتها الفكرية في المجال العملي المتجلي في نشر الدين بإفريقيا الغربية والشرقية ، ثم انها مهدت الطريق لطرد الاستعمار الإيطالي والفرنسي من ليبيا وشمال افريقيا ،

(1) المصدر السابق ص 22 .

بفضل الثورات التي كانت تتغذى بروح الاسلام .

المدارس السلفية في الميزان :

مما لا شك فيه ، ان الثورات مهما كانت طبيعتها ، لا تستقر في مكان واحد بل تنتشر في كل مكان كالشمس . فهذه الحقيقة التاريخية ، ندركها ونلحسها من خلال الفلسفة التاريخية ، وثوراتها ، وأيا كان الامر فإن الدعوة الوهابية ، قد سبقت الحركة السنوسية ثم الحركة الافغانية .

بيد ان هذه الدعوة الوهابية ، استطاعت أن تعيد للاسلام طبيعته النقية ومنابعه الصافية فحررته من البدع ، والاساطير الخرافية التي كانت تنخر العقيدة الاسلامية في الصميم .

والواقع أن عقيدة التوحيد الصادق هي الاساس الأصيل في ترسيخ عقائد الاسلام ، فبدونها لا يمكن أن يتمتع المسلم بعقيدة صلبة ، فإذا استقرت هذه العقيدة في سلوك المسلم كالثمرة الناضجة في القول والعمل . ثم ان الحركة الوهابية لم تفرق بين القول والعمل ، حيث اكدت على الجانب التطبيقي ، وهكذا يبدو ان هذه الدعوة قد مهدت الطريق الى حد ما امام الدعوة السنوسية التي وجدت ضالتها فيها ، مع العلم ان رائد الحركة السنوسية محمد بن علي قد مكث فترة زمنية في الجزيرة العربية ، فلا شك أنه قد تأثر بهذه الفكرة التي كان يرجو أن يحققها ، غير ان هناك بعض التباين بين الحركتين . إن الحركة الوهابية اعتمدت على الارشاد والقوة معا ، حيث ناصرها آل سعود ، وقيل إنها دعوة يوجهها القرآن ويحميها السيف .

وعلى اي حال فقد وقعت معارك ضارية بين الوهابيين ،

والعثمانيين ، فلم يستقر الحال بالجزيرة العربية الا سنة 1221 هـ حين دخل سعود بن عبد العزيز مكة المكرمة . ويحسن أن نذكر هنا ، أن الدعوة الوهابية اعتمدت على القوة المادية في فرض آرائها ، فقاومت في نشأتها الأولى جميع مظاهر الحضارة الراهنة بدعوى المحافظة على سيرة الرسول والصحابة ، ثم مقاومة الافكار الاسلامية القائمة على المنهاج العقلي كما هو الشأن عند فلاسفة المسلمين ، غير ان هذا الحكم فيه تطرف في حق هؤلاء . اما بالمقابل فإننا نجد الحركة السنوسية لا تعتمد على القوة المادية ، بل اعتمدت على الارشاد والموعظة الحسنة ، تطبيقا لقول الله عزوجل : ﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾

(آل عمران : 104) .

إن هذه الحركة ضمنت لنفسها النجاح ، حيث انعكس أثرها على مجاهدي ليبيا وشمال افريقيا ، وخير دليل على ذلك هو استشهاد المجاهد الكبير عمر المختار الذي كان من اتباع السنوسيين وثمة جانب آخر تجدر الإشارة إليه أن هذه الحركة السلفية الإصلاحية كانت تمهيدا لظهور الحركة الثورية التي قادها جمال الدين الافغاني في العالم الاسلامي كله ، فكانت تستهدف تحرير العالم الإسلامي كله من ربة الاستعمار والجمود الفكري ، معتمدة على المعطيات الاسلامية الأصلية وفتح باب الاجتهاد إزاء القضايا الحديثة . وما يؤخذ على الدعوة الوهابية ، أنها أكدت على الجانب النقلي ، وأهملت الى حد كبير الجانب العقلي ، ولا سيما المجال المنطقي ومناهج العلوم الحديثة ، فقاومتها بكل عنف بدعوى أن صاحب المنطق لا يخدم الشريعة الإسلامية .

غير ان هذا الامر فيه مغالطة واضحة لأن الردود التي قام بها

ابن تيمية في نقد المنطق الارسطي ، اعتمد فيها على ادلة المنطق ذاتها ، في دحض اراء الفلاسفة والمناطق ، ولولا هذه الأدلة العقلية التي قدمها في تفنيد أسس المنطق الأرسطي لاستعصى عليه الرد لأن الحجة المنطقية لا ترد الا بالحجة المنطقية ذاتها . والجدير بالملاحظة أن نستشهد برأي الفارابي الذي يقول ماييلي : «من زعم أن المنطق فضل لا يحتاج إليه ، إذ كان يمكن ان يوجد في وقت ما انسان كامل القريحة لا يخطئ الحق أصلا من غير ان يكون قد علم شيئا من قوانين المنطق ، كقول من زعم ان النحو فضل اذ قد يوجد في الناس من لا يلحن أصلا من غير ان يكون قد علم شيئا من قوانين النحو ، فإن الجواب عن القوانين جميعا جواب واحد .

وأخيرا نقول : إن الشريعة الإسلامية تقوم على العامل النقلي والعقلي معا فلا انفصال بينهما .

ولعل هذه الحقيقة قد ادرك أبعادها السيد جمال الدين الافغاني ، حيث بلورها في مدرسته الإصلاحية التي سوف نعالجها في الفصل القادم إن شاء الله

الفصل الرابع

المدارس الإصلاحية

مقدمة :

بعد تلك الملحة العامة التي اوردناها في الفصل السابق ، عن المدرسة السلفية من حيث نشأتها ومفهومها وغايتها النبيلة التي استهدفت تأصيل وتوطيد أركان الاسلام عن طريق التمسك الكلي بالكتاب والسنة وسيرة الصحابة ، ثم محاربتها جميع مظاهر البدع والخرافات التي ألصقت بالعقيدة الاسلامية السلبية نتيجة الجهل والانقسامات المذهبية الزائفة التي شجعتها الحركات الباطنية التي ارادت ان تخرج من المسلمين بمسلمين خارجين عن المنهج الإسلامي الاصيل .

ومهما كان الامر فإنه يجدر بنا ، في هذه العجالة الخاطفة ، ان نأتي في هذا الفصل بلمحة مختصرة عن مدرسة أخرى التي تركت بصمات قوية وحاسمة في التاريخ الاسلامي المعاصر ونعني بهذا المدرسة الاصلاحية وروادها . غير ان دراستنا في هذا الفصل لا يمكن ان تكون شاملة لأعلامها نظرا لكون هذا التحليل يحتاج الى كتاب مستقل . ورغم هذا فنحن نجازف باعطاء فكرة موجزة ، مبسطة متناسقة حول اسسها الفكرية التي كانت شوكة حادة في المخططات الاستعمارية الهادفة الى تذويب الشخصية الاسلامية ، وسحق كيائها الخاص ، واحتوائها بأخلاقية الردة ، والانسلاخ الشامل من ماضيها المجيد حتى لا تقوى على محاربة التيارات الجارفة والافكار الانشطارية الداعية الى الذوبان وفقدان الذات الإسلامية .

والحق الذي لا مرية فيه ، ان الوقائع التاريخية أثبتت ان الأمة الاسلامية ، لم تعرف ابدا الخضوع الدائم والذوبان امام التيارات الدخيلة بسبب أصالتها الراسية الجذور في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وايا كان الامر فإن المدرسة الإصلاحية استطاعت ان تبلور هذا الشعور الصادق في منهجها القائم على التربية واصلاح المؤسسات الاجتماعية واطاراتها كالمساجد ، والمدارس ، والمراكز الثقافية الخ . فهذه النزعة الإصلاحية تؤمن بان اصلاح هذه الطرائق هي الوسيلة الوحيدة لايجاد المسلم المصلح الذي سوف يقوم بقلب الانماط السلوكية القائمة في المجتمع الاسلامي ، والواقع ان المدارس الإصلاحية ، انطلقت أساسا من هذا المبدأ ، ولكن وجهة نظرها اختلف فيها الى حد ما بين أعلامها ، نتيجة العوامل النفسية والاجتماعية التي أثرت في رواد هذه المدرسة . وفي اطار هذا المناخ الفكري ، نستطيع أن نبدأ بالمدرسة الاولى التي حمل مشعلها العالم الكبير السيد جمال الدين الافغاني .

أ - المدرسة الافغانية

1 - جمال الدين الافغاني وعصره :

لقد قلنا ان العوامل الذاتية والاجتماعية ثم المكانية والزمانية ، لا يمكن جهلها او تجاهلها بأي حال من الاحوال في تكوين عبقرية الانسان التي قد تغير المسيرة التاريخية لشعب ما بكامله .

فإن هذه الفكرة في نظرنا ، تصدق بالضرورة على الرائد الاول السيد جمال الدين الأفغاني المولود سنة 1838م في سعد آباد باحدى القرى الأفغانية القريبة من العاصمة الأفغانية كابول . أما وفاته فكانت بالآستانة - استنبول في 9 مارس 1897م (1) .

(1) عبد الرحمن الرفاعي «جمال الدين الافغاني» ص 143 .

ويحسن ان نذكر هنا ، ان جمال الدين الافغاني قد عاش في عصر كان يسوده جمود فكري واضطراب وتواكل وتمزق ونوم عميق واستبداد من طرف العثمانيين حيث شرع الاستعمار الغربي والشرقي يستغلان العالم الاسلامي الذي فقد مقوماته الاساسية وروحه الشائرة على الظلم والاستبداد والجهل وبقي هذا العالم الاسلامي يعيش على حافة الاحتضار . الى ان قيض الله له الحكيم الشائر جمال الدين الافغاني ، فنفخ فيه روح الحياة والعزة والعلم ، والحرية والتضحية من اجل حياة اسلامية أصيلة .

وكانت هذه الدعوة هي البذرة الاولى في غرس ودفع الحركات الوطنية التي ظهرت في مختلف البلاد الاسلامية . يقول المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي في هذا الصدد : « ظل الشرق قرونا واجيالاً رازحاً تحت نير الجمود الفكري ، والتأخر العلمي ، والاستعباد السياسي ، وبقي في سبات عميق ، الى ان قيض الله له الحكيم الافغاني - جمال الدين الافغاني - فنفخ فيه روح اليقظة والحياة ، واهاب بالنفوس أن تنهض وتتحرك وبالعقول أن تستيقظ ، وبالامم والجماعات أن تتطلع الى الحرية ، فكانت رسالته الى الشرق مبعث النهضة الحديثة » .

2 - حياته الفكرية :

والجدير بالملاحظة ان جمال الدين الافغاني يعد من الرجال العصامين الذين يتميزون بالتوافق الاجتماعي والقدرة الكافية على التكيف مع الاوضاع الاجتماعية نتيجة ذكائهم وتجاربهم ، وتجدر الاشارة هنا الى ان الله عزوجل قد وهب للسيد جمال الدين الافغاني ذكاء وقادراً ، وحافظة قوية ، وارادة فولاذية هذه العوامل الذاتية هي التي جعلته يستوعب جميع المعارف واللغات الحية في فترة لم يتعد عمره فيها اكثر من عشرين سنة ، مع العلم انه قام بإثراء الفكر الاسلامي بعدة مقالات ورسائل ثورية أنارت البصائر وحررت العقل من الجلود الفكرية ودعته الى تحطيم قيود الاستعمار ، والطواغيت البشرية ، وفي ضوء هذا يمكننا الآن ان نشير الى اهم نشاطه الفكري الذي ساهم به في بعث روح الفكر الاسلامي الحديث ، اما بالنسبة الى آثاره الفكرية فتمثل في مايلي :

أ - رسالته في الرد على الدهريين : حيث دحض فيها الفلسفة المادية

الناكرة لوجود الله عزوجل ولقد بين في هذه الرسالة تهافت النزعة الاحادية التي لا تستقر على اساس سليم حيث بين ان الكفر دليل على انحطاط الفكر البشري وفساده اما الايمان بالله واديانه فدليل على رقي الانسان لان الدين اساس المدنية ، يقول جمال الدين الافغاني : «لم يبق للشهوة قانع ، ولا للأهواء رادع الا الأمر الرابع اعني الايمان بأن للعالم صانعاً عالماً بمضرات القلوب ومطويات الأنفس ، سامي القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد

بأنه قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحق في حياة بعد هذه الحياة» (1) .

ب - صحيفة العروة الوثقى وأثرها في العالم الإسلامي ؛ وكان حقا علينا

ان نذكر هنا ، صحيفة العروة الوثقى التي كان يصدرها الامام جمال الدين الافغانى مع تلميذه وصديقه الوفي محمد عبده الذي شارك استاذة مشاركة فعالة في معترك الحياة الفكرية والسياسية النابعة من إحساسات الشعوب الاسلامية ومصيرها .

فكان الاول مديرا لسياستها والثاني رئيسا لتحريرها ، وهذه الجريدة امست تعكس أصول الفلسفة الافغانية الداعية الأمة الاسلامية الى الاتحاد والجهاد ضد الاستعمار ونبد التفرقة المذهبية والأخذ بأسباب الحضارة المعاصرة التي تلائم سلامة المنهج الاسلامي الاصيل ، ولقد صدر من هذه الجريدة ثمانية عشر عددا ، ظهر العدد الاول منها في يوم الخميس 10 جمادي الاول 1301هـ الموافق لـ 13 مارس 1884 م .

ولقد جاء في فاتحة العدد الاول من جريدة العروة الوثقى مايلي :

ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير هذا ما تمده العناية الالهية من قول الحق ، متعلقا بأحوال الشرق وعلى الله المتكل في نجاح العمل .
وبعد هذا يقول : جرت عادة الامم ان تأنف من الخضوع لمن يباينها في الاخلاق والعادات والمشارب وإن لم يكلفها بزائد عما كانت تدين به لمن هو على شاكلتها ، فكيف بها إذا حملها مالا طاقة لها به ،

(1) المصدر السابق ص 149 .

لاريب انصاستنكره ، وان كانت تستكبره ، وكلما أنكرته بعدت عن الميل اليه وكلما ابتعدت منه بجهة كونه غريبا ، تقرب بعضها من بعض فعند ذلك تستصغره فتلفظه كما تلفظ النواة وما كان ذلك بغريب (1) .

انطلاقا من هذا النص التاريخي يمكننا الآن ان نقول : ان الامام جمال الدين الافغاني كان شديد الايمان بالله عزوجل في اعماله ، فلقد انطلق من عقيدة صلبة لم تعرف اليأس والخضوع أمام ضربات الاستعمار المتتالية عليه ، فلقد تحمل تلك الرزايا بصبر واقدام من اجل الشعوب الاسلامية . فهو شديد الثقة بمصير الأمم ومستقبلها التي سوف تقوم بتحطيم أغلال الاستعمار وبالتالي ستلفظ ثقافته لأنها تختلف مع أصالة دينها وأخلاقها وعاداتها ، وان الحدس الأفغاني قد صدق في تحرير الشعوب الاسلامية من الهيمنة الاجنبية فهذا يعود الى ثقافته الاسلامية التي تعد روح الشعوب .

ج - رأيه في الاصلاح الديني والاجتهاد :

ان اصالة الشريعة الاسلامية ليست في حاجة الى اصلاح ولكن المسلمين هم الذين في حاجة الى تهذيب واصلاح ، ومن هذا المنطلق فإن جمال الدين الافغاني يرى ان سبب تقهقر المسلمين يعود الى الجهل والصراع المذهبي بين المسلمين والى التقليد الأعمى وعدم التحرر من هذه الظواهر السلبية لا سيما رجال الدين الذين يخدمون ركاب السلطة الجائرة الهادفة الى وأد العالم الاسلامي حضاريا وثقافيا دون التمييز بين الجوانب الإيجابية والسلبية

(1) العدد الأول من جريدة العروة الوثقى

بالنسبة إلى حضارتنا الراهنة .

وأيا كان الأمر فإن جمال الدين الافغاني يرى ان الاجتهاد محوراصيل
وضوري في الفكر الاسلامي لمعالجة قضايا الساعة ، لأن احكام واسرار القرآن
لم تدرك كلها بعد ، فالمجتهد مهما بلغ درجة الاجتهاد فلا يزال في بداية خط
الاجتهاد بالنسبة الى أحكام واسرار القرآن الكريم والسنة ، وفي هذا الصدد
يقول جمال الدين الافغاني : «مامعنى باب الاجتهاد مسدود ، وبأي نص سد
باب الاجتهاد ؟ او اي إمام قال : لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي ان يجتهد
ليتفقه في الدين ؟ او ان يهتدي بهدى القرآن وصحيح الحديث ، او ان يجد
ويجتهد لتوسيع مفهومه منها والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم
العصرية وحاجيات الزمان وأحكامه ولا ينافي جوهر النص .
فالقرآن ما أنزل الا ليفهم - ولكي يعمل الانسان بعقله ليتدبر معانيه ،
وفهم أحكامه والمراد منها» (1) .

د - دعوته الى الوحدة الاسلامية :

يرى جمال الدين الافغاني، ان الدين الاسلامي ، يعد الحد المشترك
والقوي في العالم الإسلامي لتوحيده فهو ينظر الى الوحدة الاسلامية من
خلال المنظور الاسلامي الخالص.
حيث اعتبر ان المسلمين أمة واحدة .
مهما اختلفت شعوبهم وألوانهم ، وأجناسهم ولغتهم وعاداتهم فالدين
الاسلامي هو الجامع والموحد للمسلمين كافة .

(1) جمال الدين الأفغاني . محمود ابو ريشة ص 94 .

وعلى العلماء المسلمين ان يقوموا بإحياء هذه الرابطة المقدسة ويسخروا كل إمكانياتهم الفكرية ومؤسساتهم الثقافية لتحقيق هذا الهدف النبيل ولنسمع في ذلك إلى قول جمال الدين الافغاني حيث يقول : « وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق .

ذ - خلاصة الفكرة :

من خلال النصوص التي استعرضناها هنا وهناك ، نلاحظ بكل تأكيد أن جمال الدين الافغاني كان رجلا ثوريا وعالما في آن واحد ، حيث ارتبط بالواقعية المعاشة .

وأيا كان الامر فإن جمال الدين الافغاني كان يعتقد ويصر على أن الدين الإسلامي هو منهج حياة الانسان الكامل ، حيث ربط بين الجانبين: الأخروي والديني ، ومن هنا دعا المسلمين الى أن يأخذوا بكل المعارف العلمية الحديثة طالما لا تتعارض مع النص الشرعي ، وفتح باب الاجتهاد الذي سوف يخرجهم من دائرة الجمود الفكري .

ومها كان الامر فإن اسس الفلسفة الأفغانية قد انعكس مفعولها على العالم الإسلامي كله لا سيما جريدته الثورية - العروة الوثقى - التي لعبت دورا حاسما في العالم الإسلامي بأجمعه ، حيث وطدت أواصر المحبة والأزر بين المسلمين عامة .

والجدير بالتنويه ، ان هذه الجريدة كانت تتسرب الى الجزائر عن طريق فرنسا ، وقامت بدور فعال في احياء الوعي الاسمي وانعكس أثرها على العلماء المصلحين الجزائريين خاصة .

وفضلا عن ذلك فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وزعيمها الروحي الإمام عبد الحميد بن باديس قد تأثرا إلى حد ما بالنزعة الافغانية ، حيث نهجا منهجها ، وهذا يعود الى فلسفته الفكرية النابعة من اصالة الاسلام .

وعلىنا الآن ان ننظر الى المدرسة الإصلاحية الباديسية التي تزعمها الإمام عبد الحميد بن باديس ، فهل هذه المدرسة تعد امتدادا طبيعيا للمدرسة الأفغانية ، أم انها تختلف معها في بعض مقولاتها الفكرية وهذه التساؤلات سنجد لها جواب في تحليلنا القادم بإذن الله .

2 - المدرسة الباديسية

إذا كانت الجزائر اليوم تتمتع بسيادتها المطلقة وحريتها ، فهذا يعود الى فضل الإسلام الذي كان دافعا قويا ، وعاملا حاسما للقضاء على الاستعمار الغربي ، وعلى هذا يمكن القول بأن المدرسة الباديسية استطاعت ان تدرك هذه الحقيقة البديهة الواضحة في اول نشأتها حيث رفعت الشعار التالي - لا استقلال بدون إسلام ولا جزائر بدون إسلام - فكان هذا الدين الحنيف هو المفجر الحقيقي لثورتنا المجيدة . ومهما يكن من أمر ، فعلينا ان ندرس وان نخلل أسس هذه المدرسة من خلال زعيمها الإمام عبد الحميد بن باديس .

أ - ابن باديس نشأته وحياته الفكرية :

اسمه الحقيقي هو : عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس ، ولد بمدينة قسنطينة سنة 1889م في أسرة مشهورة بالعلم والصلاح والثراء ، يعد الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ورئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، منذ نشأتها سنة 1931م إلى وفاته 1940م .

آثاره الفكرية : ان ابن باديس قد ساهم مساهمة عظيمة في احياء التراث الإسلامي عامة والجزائري خاصة .

ويمكننا أن نشير إلى هذه المؤلفات الفكرية التي تعد انعكاسا طبيعيا وأميناً للوضعية التي كانت تعيشها الشعوب الإسلامية .

أولا : في سنة 1921م ، أصدر جريدة المنتقد في 18 مجلداً .

ثانيا : في سنة 1926م ، أصدر مجلة الشهاب وتعتبر من أثنى المجلات الجزائرية من الناحية التاريخية ، حيث حللت الأوضاع الاجتماعية والسياسية ، التي كانت تعيشها الجزائر ما بين سنة 1926م وسنة 1939م ، ثم أصدر بعدها صحفا أخرى كالشريعة والسنة المحمدية ، والصراط ، إلا أن هذه الصحف لم تعمر طويلا ، بسبب الخناق الاستعماري الذي كان يقوم

بوأدها في مهدها ، هذا هو الجانب الصحفي . أما الجانب الآخر فيمثل في كتبه التالية :

1 - مجالس التذكير - 2 - العقائد الإسلامية - 3 - جواب السؤال عن سوء السؤال (1) .

وفي ضوء هذا التراث الفكري ، ندرك مدى عظمة هذا العطاء الفكري الذي استمد تصوره وتحليلاته من الظروف المحلية والعالمية التي يوجد فيها . ولقد قلنا سابقا ، لا يمكن تجاهل الظروف النفسية والزمانية والمكانية التي تؤثر تأثيرا ايجابيا او سلبيا على عطاء التاريخ وهذه المقولة الفكرية تصدق في نظرنا على العلامة ابن باديس - رحمه الله - .

يقول محمد الميلي : «إن القول بأن إنسانا ما عبقرى موهوب واعتبار عبقريته وموهبته شيئا قائما بذاته لا ارتباط له بما يحيط به من مشاكل وأحداث يكون بمثابة الحكم على الإنسان بالجنون» (2) .

ومن هذا المنطلق الفكري يمكن الآن أن ننظر إلى جهاده الفكري .

2 - جهاده وإصلاحه الديني :

هناك تحديات كثيرة واجهت الإمام من قبل الإستعمار ومدارسه التحريفية التي أوجدها ، حيث بذل كل طاقاته الفكرية والمادية لإنتقاذ الجزائر المسلمة من مخالب الإستعمار وإصلاحها ، والنهوض بها في شق الميادين ، وكان رحمه الله لا يعتمد على الأقوال والمناقشات الجوفاء بقدر ما كان يركز على العامل التطبيقي يقول في ذلك - لا خير في علم ليس بعده عمل - ويرى أن إصلاح المجتمع لا يأتي إلا عن طريق إصلاح

(1) انظر : عادل نويس ، معجم أعلام الجزائر .

(2) محمد الميلي - ابن باديس وغروبة الجزائر - ص 36 .

النفوس البشرية، فدعا الناس لذلك رافعا وموضحا الشعار الإسلامي :
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد : 11) .

فهكذا نلاحظ ان ابن باديس قد ربط بين الجانب النظري والتطبيقي ، ولا أدل على ذلك من تأسيسه وبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م ، مع عدة أعلام جزائريين رحمهم الله - كالبشير الابراهيمي - وإبي اليقظان - والعقبي - والتبسي- وابراهيم بيوض - مؤسس الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب .

و ابن باديس قد قام بالوعظ والارشاد طول حياته في الجامع الأخضر بقسنطينة يوجه النفوس توجيها اسلاميا خالصا نحو الطريق المستقيم ، وأيا كان الامر فإن جمعيته قامت بدور فعال في بناء المدارس العربية الحرة والمساجد ، وإعادة الاعتبار الى الشخصية الوطنية الاسلامية ، ومناهضة التيارات المتجلية في الحركات التبشيرية والتجنسية ، ومقاومة الجمود الفكري ، والبدع الضالة التي تنزعها طرق الصوفية الخارجة عن جادة الإسلام الاصيل .

د - موقف ابن باديس إزاء الطرق الصوفية :

لقد قلنا ان الاسلام الاصيل ليس بحاجة الى اصلاح ولكن النفوس البشرية هي التي في حاجة الى اصلاح ، وإلا اعتبرنا الدين الاسلامي كبقية الدساتير الوضعية التي تحتاج الى التعديل والتلقيح كما هو الشأن بالنسبة للقوانين الوضعية ، وإيا كان الامر فإن ابن باديس حارب الاستعمار الفرنسي وناهضه بصحفه النارية فكشف اساليبه ومغالطاته للرأي العام الجزائري ، وتجدر الإشارة هنا الى ان الاستعمار قد تحالف مع الطرق الصوفية ، حيث أفرغت المحتوى الجوهرى للإسلام ، واهتمت بالجانب الشكلي الخارجى عن منهج الاسلام الصحيح كزياراتها للأضرحة طالبة منها الرحمة والشفاعة من عند الله ، مع نشر الخرافات والاسرائيليات في

الجمهور ، ثم إلصاق هذه الصورة المشوهة بالاسلام الذي هو بريء منها .
ولا ريب ان الاستعمار قد وجد ضالته المنشودة في هؤلاء السذج ،
فتحالف معهم لضرب الحركات الاصلاحية في شمال الجزائر أو جنوبها ، إلا
ان إمامنا ابن باديس قد بين وكشف مخططاتهم الفاسدة المارقة عن جوهر
الاسلام فقال رحمه الله : « فالزوايا والطرقية تمثل الكنيسة ورجال
الأكليروس في ذلك العهد السحيق في إفساد النفوس والعقول بالدجل
والتحريف ، والادارة تمثل أمراء ذلك العهد في استعمال الكنيسة
واستغلالها والجمعية الدينية الاصلاحية تمثل رجال الاصلاح على فارق في
الوضع والاسلوب » (1) .

من خلال هذا النص التاريخي ندرك ان الفكر الباديسي ، يرى ان
الاصلاح هو عملية شاملة لجميع مظاهر الحياة الاجتماعية التي تشمل على
العقيدة والسلوك ، وقضايا المجتمع سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو
اقتصادية ألخ .

ان هذه الفكرة الاصلاحية ، تتعارض تعارضا صارخا مع معظم رجال
الزوايا المتحالفين مع الاستعمار الذي بذل كل جهد لتعقيم أية ثورة ثقافية .

د - أسس الفلسفة الباديسية :

ومها قيل عن جهاد الامام بن باديس رحمه الله ، في المجال الفكري
والاجتماعي ، فنحن لا يمكن ان نوفي حقه في هذه العجالة المختصرة ، حيث
مثل العالم المؤمن أحسن تمثيل في حياته الفكرية .

(1) جريدة البصائر عدد 127 / 19 أوت 1938م ، نقلا عن أبي صفاف عبد الكريم

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص 202 .

وهنا قد يتساءل أي شخص ما هي الاسس الفكرية التي انطلق منها في معترك الحياة ولعل من المناسب ان نذكر ان اسس فلسفية قد بلورها ووضحها في مقاله المشهورة لمن أعيش .

يقول الامام ابن باديس ما يلي :

س : لمن أعيش أنا ؟

ج : أعيش للاسلام والجزائر .

قد يقول قائل : ان هذا ضيق في النظر ، وتعصب للنفس ، وقصور في العمل وتقصير في النفع فليس الاسلام وحده ديننا للبشرية ولا الجزائر وحدها وطن الانسان ، والاطوان الانسانية كلها حق على كل واحد من ابناء الانسانية ولكل دين من أديانها حقه من الاحترام .

ونحن لما نظرنا في الاسلام وجدناه الدين الذي يحترم الانسانية في جميع اجناسها .

فلما عرفنا هذا واكثر من هذا في الاسلام - وهو الدين الذي فطرنا عليه الله بفضله - علمنا أنه دين الانسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة الا به . فإذا عشت له فإني اعيش للانسانية لخيرها وسعادتها في جميع اجناسها واوطانها ، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها ، وما كنا لنكون هذا إلا بالاسلام الذي ندين به ونعيش له ونعمل من اجله فهذا معنى قولي : «انني اعيش للإسلام» .

اما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص وتفرض علي تلك الروابط لأجله - كجزء منه - فروضا خاصة ، وانا اشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة .

نعم ان لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا اخرى عزيزة علينا هي دائما
منّا على بال(1) .

هكذا نلاحظ ان الامام عبد الحميد بن باديس قد افرغ فكرة الاسلام
في قالب العمل الذي يؤدي بنا الى التغيير الجذري لمختلف أوجه الحياة
الفردية والاجتماعية .

ان الاسلام في نظره هو دين الانسانية قاطبة والتي يجب ان تدين له ،
لأنه يمثل المساواة التامة بين البشر . فهو لا يحايي ولا يميز بين الاجناس
مهما كانت وضعيتهم الجنسية والاجتماعية والفكرية والسياسية ، فلا تفاضل
بين البشر الا بالعمل الصالح القائم على الإسلام .

اذن فنحن ملزمون بخدمة هذا الاسلام وتحقيق هذا المنهج الالهي الذي
حرر البشرية من قيودها الداخلية والخارجية فهو بالتالي يعكس فطرة
الانسان ويلبي رغباته المشروعة في إطار الاسلام ، فلا نجاة ولا سعادة الا
بالمنهج الالهي .

اما الفكرة الثانية التي جسدها فتتمثل في تعريفه لمبدل الوطن
الجزائرية التي يعيش من اجلها ويدافع عنها . لأنها تحمل الماضي والحاضر
والمستقبل في اعماق كل قلب جزائري غيور . ولا يعد هذا تحزبا بأي حال
من الاحوال . لأن من ضيع بيته لا يوثق به ان يرعى بيت غيره . ولكن

(1) ملاحظة : لقد أخذنا بعض الفقرات من هذه المقالة المهمة - الشهاب - ج 10 ، م
12 غرة شوال 1355 هـ جانفي 1938 م نقلا عن محمد الميلي ابن باديس وعروبة الجزائر
ص 172 .

هذا الوطن العزيز لا ينسبنا مغربنا الاسلامي والشرق الاسلامي والعالم
كلها ، فهناك علاقات لغوية ودينية وأخلاقية وإنسانية تجمع بيننا وبين
هذه الاقطار التي ذكرت وهكذا نلاحظ ان الامام ابن باديس انطلق من
واقعية اسلامية جزائرية ، وهذه الفكرة في حقيقة أمرها تعد تقليدا
للرسول الكريم في دعوته الأولى - ألم يقل الله عز وجل للرسول : ﴿ وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۖ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء
: 214 - 215) .

ولقد حرص الامام كل الحرص أن يغير من لبنات المجتمع الجزائري
الذي أنهكه الاستعمار الغربي ، إلا أنه لم يغفل أبدا القضايا الإسلامية
والإنسانية في مقالاته ونشاطه الفكري ، فهذا الجانب يحتاج الى دراسة
اخرى مفصلة . ولكن رغم هذا ، فقد قدمنا خلاصة عامة ، عن ملامح
المدرسة الجزائرية الإصلاحية ، غير ان هناك رافدا آخر لهذه المدرسة
الإصلاحية حيث تمثله مدرسة الصحافة اليقظانية التي ساهمت مساهمة فعالة
في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية الإسلامية فإن هذه المدرسة سوف
نعالجها في الصفحات القادمة .

5 - المدرسة اليقظانية :

1 - مقدمة :

لقد قلنا سابقا أن الشيخ ابن باديس ، أدرك ان الامة الجزائرية ، لا
يمكن ان يثبت لها وجود إلا عن طريق التربية الصالحة الإسلامية الهادفة
الى قلب أنماط سلوكها ، وإثبات شخصيتها الوطنية الجزائرية الإسلامية
فاتخذ في سبيل ذلك التربية الإسلامية وسيلة وغاية في آن واحد .
ولعل من المناسب أن نذكر أن الصحافة كانت أهم العوامل التي انتهجها
في مسيرته الجهادية ، وقد شارك في هذا العمل الاصلاحى العظيم عدة

أعلام الإصلاح لا سيما أبو الصحافة الجزائرية الشيخ أبو اليقظان الذي كان محرر عدة مقالات في المنتقد والشهاب مع العلم انه كان من الأوائل الذين سابقوا وساهموا في انشاء جمعية العلماء فكان من أعضاء إدارتها .

2 - التعريف بصاحب المدرسة(1):

هو ابراهيم بن عيسى بن داود أبو اليقظان المولود بالقرارة - ولاية غرداية - في 5 نوفمبر 1888م ، حيث تعلم في كتابتها ثم تتلمذ في بني يزقن على الإمام الكبير الشيخ أطفيش(2) - رحمه الله .

وفي سنة 1912م التحق بجامع الزيتونة للدراسة بتونس وبعد عامين ترأس أول بعثة علمية جزائرية . وفي سنة 1917م ، برز في المجال السياسي حيث انضم إلى المنظمة السرية الثعالبية وبعد مدة وجيزة أمسى عضوا بارزا في الحزب الدستوري - وبعد هذه الفترة الكفاحية عاد الى الوطن ، حيث حمل لواء الإصلاح والعربية فأصدر جريدته الأولى المشهورة وادي

(1) انظر : محمد ناصر أبو اليقظان وجهاد الكلمة .

(//) انظر : عادل نويض - معجم أعلام الجزائر .

(2) اطفيش محمد بن يوسف الملقب بقطب الأمة ولد في بلدة بني يزقن ولاية غرداية سنة 1818م تصدى لنشر التعليم ومحاربة الجهل والبدع تأليف القطب تجاوزت الثلاثمائة بين مخطوط ومطبوع أهمها: شرح النيل - شامل الأصل والفرغ .
توفي القطب - رحمه الله - في شهر مارس 1914م .

ميزاب خلال سنة 1926م ، وبعدها أصدر سبع جرائد أخرى وهي :
ميزاب - المغرب - النور - البستان - النبراس - الأمة - الفرقان .

بيد أن الإستعمار شرع في ملاحقة هذه الصحف وخنقها ومصادرتها
أحيانا ، نظرا لدورها الفعال الذي كانت تقوم به في كشف المخططات
الإستعمارية وتوعية الجماهير الإسلامية بهويتها الاستقلالية الخاصة بها .
غير أن أبا اليقظان لم ينس مجالا آخر وهو مجال التأليف حيث نجد له
ستين مؤلفا بين مخطوط ، وكتاب صدر أهمها : سلم الاستقامة - ملحق
السير - سليمان باشا الباروني - أما وفاته فكانت بالقرارة في 30 مارس
1973م .

والجدير بالملاحظة أن الحركة الإصلاحية في الجنوب التي قادها الإمام
الكبير إبراهيم بيوض⁽¹⁾ - رحمه الله - كانت تسير جنبا بجنب مع الحركة
الإصلاحية في الشمال تحت زعامة الإمام الشيخ ابن باديس ، فكان الأستاذ
أبو اليقظان دعامة قوية لهاتين الحركتين اللتين تستمدان فلسفتهما من
الكتاب والسنة والوضعية الجزائرية السائدة آنذاك .

(1) بيوض إبراهيم بن عمر : ولد في القرارة ولاية غرداية بجنوب الجزائر سنة 1899م
وتوفي سنة 1981م . يعد من دعاة الإصلاح الديني والاجتماعي والفكري في الجزائر
حارب الجهود الفكري والاستعماري معا . دعا إلى الأخذ بأسباب النهضة العلمية ،
وكان عضوا بارزا ومسؤولا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها .
أهم آثاره - في رحاب القرآن - وكتاب الفتاوى .

3 - جهاده :

كان الشيخ أبو اليقظان يؤمن إيمانا عميقا ، بأن الصحافة لا تقل أهمية عن القوات الغذائية بالنسبة إلى الإنسان .

إن الصحافة في نظره هي الغذاء الروحي النابع من إحساسات وإرهاقات الشعوب وتطلعها نحو مستقبلها المرتبط بماضيها وحاضرها .

ف نشاطها إذن يتعدى حدود الدائرة الضيقة ، وهي بالتالي تمس كل الفئات والطبقات الاجتماعية ، حيث تقوم بتهديبها وتقريبها وتوحيدها في الأهداف ، وترشدها نحو الطريق الأقوم ، فهنا يستدل ويسترشد بقول المفكر جوت الفرنسي حيث يقول : «الجرائد مدارس متجولة ليست محصورة بين جدران ، ولا يختص بها مكان دون مكان ، وهي أوسع دائرة الإرشاد من كل دوائر التعليم ، تهذب العامة ، وترتب أفكار الخاصة ، وتنهض المهم القاعدة ، وتصلح الألسن الفاسدة وتقرب الأمم المتباعدة ، وهي سجل الأخبار ، ووعاء التاريخ وتقويم الزمن» (1) .

أما هو فقد وصف وظيفة الصحافة التربوية في الآيات الآتية ، التي عبرت تعبيرا أميناً ، عن حسه الوطني الصادق : حيث يعتقد بأن الصحافة الحرة الملتزمة ، بمصير الأمة تمثل القائد الراشد الموجه أمته نحو الطريق المستقيم والسعادة التي ينشدها فنشد مايلي :

إن الصحافة للشعوب حياة

والشعب من غير اللسان موات

فهو اللسان المفصح الذلق الذي

(1) أبو اليقظان - جريدة الأمة - عدد 106 الجزائر 19 جانفي 1937م.

بيانه تتدارك الغايات

فهى الوسيلة للسعادة والهناء

وإلى الفضائل والعلا مرقاة

ومها كان الأمر فإن الشيخ أبا اليقظان التجأ إلى الصحافة الحرة
الملتزمة بالقضايا الوطنية التى كانت تعالج الموضوعات السياسية والعلمية
والاقتصادية والأدبية ... الخ .

فهناك عمق مكونات الأمة الجزائرية الإسلامية خاصة والأمة الإسلامية
كافة ، فناهض المخططات الاستعمارية داخضا وكاشفا التيارات التبشيرية
والإندماجية ، والأفكار الجامدة فأبرز أصالة الثقافة الإسلامية القادرة على
العطاء الحضاري في معالجة مشاكل حضارتنا الحالية ، ويمكننا أن نستشهد
بكتاب الأستاذ الزبير سيف الإسلام الذي درس الصحف اليقظانية دراسة
وافية فقد جاء في مقدمته «عمق أبو اليقظان حقيقة الأمة الجزائرية التى
هى جزء من الأمة العربية والأمة الإسلامية في وقت اشتد فيه تيار كان
ينكر ذلك أو كان يدعي أنه بحث عنها دون جدوى ، وبذلك أرسى قواعد
جزائر المستقبل ، وكـم يحس دارس تاريخ الجزائر المعاصرة بشوق وإعجاب
في المواطن التي أبرز فيها المؤلف المجاهد المؤرخ في هذا الكتاب كيف
كانت الصحافة اليقظانية فعول هدم للإدماج والداعين إليه بتأكيد تلك
الحقيقة ، وبمناصرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تارة ، ثم برنامج حزب
الشعب الجزائري تارة أخرى من أجل ذلك» «من مقدمة د/محمد عبد اللطيف
البحراوي» (1) .

وكان حقاً ولزاماً علينا أن نقول : إن أبا اليقظان لم يجد الطريق
أمامه سهلاً ، بل لقي في ذلك حواجز وقيوداً وملاحقة دائمة لصحفه من

قبل أعدائه والقوى الباغية الهادفة إلى سحق الحركة الإصلاحية في شمال الجزائر وجنوبها . إلا أن الأستاذ أبا اليقظان - رحمه الله - لم ييأس ولم يقنط بل قاوم هذه الحملات الجهنمية بإيمان قوي لم يتزعزع ، وصبر دؤوب لم يعرف حدودا ، وشجاعة قل أن يتحملها شخص في سبيل إصلاح المجتمع .

4 - مذهب الإصلاحية :

إن الفكر الإصلاحي قد فرض نفسه على كل الشائرين والمصلحين الأحرار الذين أرادوا أن يحرروا أوطانهم من نير الاستعمار والجهود الفكرية والجهل والفقر والآفات الاجتماعية ، فهذا لا يتأتى إلا عن طريق إصلاح المؤسسات الاجتماعية ، وإطاراتها كالمساجد ، والكتاتيب والتعليم و الوعظ .. الخ. ثم المحافظة على الشخصية الوطنية الإسلامية ، والأخذ بأسباب قوة الحضارة المعاصرة التي تتلاءم مع أصالة الإسلام لكي يكون المسلمون أعزاء أقوياء في هذا الوجود وإلا فقدوا مقوماتهم الشخصية وانحطوا إلى عالم الحيوان .

يقول أبو اليقظان في هذا الصدد : «يجب أن نغير من أساليب الحياة ، وأن نتخذ من الأوضاع الجديدة المادية ، والمعنوية ما يتفق ، وديننا وأدبنا كي نحفظ مركزنا في الوجود ونتقي عوادي الدهر بها» (1) .

فالفئة الإصلاحية تؤمن بالتطور الحضاري الذي يتلاءم مع أصالة الإسلام ، أما بالمقابل فهناك فئة أخرى تجمد النشاط العقلي وتنظر إليه كآلة الصماء فيقول في شأنها «نعتقد أن العقل آلة صماء لا تتصرف وآلة

(1) وادي ميزاب ع 118 - 25 / 01 / 1929م نقل عن محمد ناصر أبو اليقظان وجهاد الكلمة ص 87 .

عاطلة لا يجوز استعمالها ، في شأن من الشؤون ، ونقد زائف يجب أن يحكم صرة في صرة ، ويوضع في رف عتيق بجدار متداع للسقوط (1) .
ويحسن أن نذكر هنا ، أن أبا اليقظان يرى أن المناهضين للحركة الإصلاحية شيء طبيعي في الحركات الثورية فلا نياس . إن هذه المعارضة تعد دليلا واضحا على وجود فكرتين متناقضتين ، متصارعتين في الحياة بين الصلاح والصلاح والحق والباطل - فالحق معنا - إذن فإن الصراع يعد شيئا طبيعيا في الحركة الإصلاحية .

يقول في هذا الصدد مايلي : «فإذن لا نفرغ من وجود المعارضة في وجوه الإصلاح وإن بلغت من الحدة ما بلغت فما هي في الحقيقة إلا غداء لبذور الإصلاح منعش لروحها يجب أن نبشر بها ونتلقاها بشعر باسم ووجه ضحوك (2) .

5 - مقاومته للتجنيس والتبشير :

وفي إطار هذا المناخ الفكري الإصلاحي فإن الشيخ أبا اليقظان قد أثار قضية التجنيس وخطرها الداهم على الشخصية الجزائرية الإسلامية ، حيث أظهر للجزائريين أن هذه القضية في حقيقة جوهرها ماهي إلا شبكة استعمارية ليزيد الاستعمار الفرنسي تصلبا وثباتا ، وتفريخا لسياسته التمييزية ، وبالتالي القضاء على مقومات الشخصية الإسلامية وتغريبها من خلال التمسح ، لأن هذه القضية الحساسة مرتبطة أشد الارتباط

(1) وادي ميزاب ع 118 - 1929/10/25م نقلا عن محمد ناصر ابو اليقظان وجهاد الكلمة ص 87 .

(2) وادي ميزاب ع 62 - 1927/12/23م المصدر السابق ص 86 .

بقضية الإستعمار الفرنسي في الجزائر الهادف إلى تسيح الجزائر كلية ، يقول لا فيجري في هذا الشأن : «علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه ، وعلينا أن نغنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم ، فإن واجب فرنسا تعليمهم الانجيل» (1) .

فهذه الفكرة قد ظهرت واضحة عن المبشرين الفرنسيين إلا أن أبا اليقظان قد أدرك هذا السرطان الاستعماري ، فبين ذلك بكل جلاء ، أن التبشير ماهو في حقيقة أمره إلا قناع استعماري ، فحذر الجزائريين من هذا الوباء الفتاك الذي سوف يقضي لا محالة على شخصيتنا الإسلامية ، ومن هنا نجد أن أبا اليقظان قد سخر قلمه كاشفا ، ومعللا هذا المرض الدام أمام الرأي العام ، فهذا عن طريق حملته الإعلامية المركزة على رجال التبشير الذين يعدون أعداء الإسلام ، يقول الشيخ أبو اليقظان في هذا المضمار مايلى : «إن جماعات المبشرين مازالوا ولا يزالون يلهون ويمرحون دائبين في خططهم الماكرة من غير أن يلووا على شيء وكيف يرجعون عن غيهم ، وهم يجدون من الحكومة كل مناصر وكل مؤازرة ، ويلاقون منها من وسائل التشجيع والتنشيط وهم على باطل ، مالم يلاق منها المسلمون عشر معشار ، وهم على حق» (2) .

الشيخ أبو اليقظان وقضية فلسطين :

والجدير بالتنويه ، أن أبا اليقظان لم ينس القضايا العربية والإسلامية ، والعالمية في صحفه ، وفي هذه العجالة سوف نشير إلى قضية

(1) محمد ناصر ابو اليقظان وجهاد الكلمة ص 79 .

(2) الأمة ع 161 1938/04/5م نقلا عن المصدر السابق ص 83 .

فلسطين ، حيث أدرك بحدسه العقلي ، وشعوره الديني الصادق ، أن الحوادث التي وقعت بين المسلمين واليهود سنة 1929م ، حول حائط المبكى ، لا يمكن بأي حال أن تحمل دلالة دينية ولكنها تحمل دلالة سياسية بالدرجة الأولى المرتبطة بالحركة الصهيونية العالمية التي تريد احتواء العالم الإسلامي كافة ، والاستحواذ على أماكنه المقدسة .

ولقد حذر العالم الإسلامي حول هذه القضية الخطيرة والمهادفة إلى خلق الدولة الصهيونية في فلسطين المسلمة فيقول - رحمه الله - في ذلك : «إن كل من يمعن النظر ويدقق البحث في قوادم المسألة وخوافيها يجد أن المسألة ليست مسألة المبكى والبراق ، وإنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالبه في غلصمة العالم (1) الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وجنته الأرضية ، ومقر أنبياء الله فلسطين» (2) .

وإلى هنا نستطيع أن نقول إننا قدمنا بعض الملامح عن المدرسة الإصلاحية اليقظانية التي كانت تلاحق الإستعمار ومخططاته وأعوانه بجرأة نادرة وببساطة عارمة ، وتضحيات جسام ، يقول محمد ناصر في هذا الصدد ماييلي : «إن هذا التسامي في التضحية والاستماتة في الجهاد لا تفسر إلا بشيء واحد وهو أن الإيمان بالله وحده ، ورجاء الثواب من عنده ، والإخلاص للجزائر العربية المسلمة كانت من وراء هذه المواقف العظيمة» (3) .

وفضلا عن ذلك فإن الإمام عبد الحميد بن باديس قد وصفه بمايلي : «وأبو اليقظان إلى جانب ميزاتته التي يفاخر بها وله الحق ؛ عربي يجاهد ويمجالد في سبيل العروبة ، ووطني يناضل ويقارع في سبيل الوطنية ومسلم

(1) الغلصمة هي اللحم بين الرأس والعنق .

(2) ميزاب ع 1 - 25/01/1930م المصدر السابق 139 .

(3) المصدر السابق ص 298 .

أخلص لله دينه يجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعماله»(1).

تقييم المدرسة الإصلاحية :

مما لاشك فيه أن المدارس الإصلاحية قد ساهمت مساهمة فعالة في استنهاض الهمم الداعية إلى طرد الاستعمار وأعوانه والرجوع إلى أصالتنا الإسلامية .

فهذا يعود إلى نظرتها الواقعية ، حيث انطلقت في إصلاح النفوس والمؤسسات الاجتماعية إلى حد ما .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المدارس الإصلاحية تتحد في وحدة المشرب إلى حد كبير .

بيد أن المدرسة الأفغانية قد انطلقت أساسا من معطيات العصر التي نشأت فيها ، حيث كان العالم الإسلامي كله يئن تحت وطأة الخلافة العثمانية التي كانت في حالة الاحتضار فشرع آنذاك المستعمر الأوروبي ينقص من أطرافها لمصلحه الإقتصادية والسياسية .

فكان الإستبداد والجهل والفقر في العالم الإسلامي أمام هذه الصورة الظلمة حتى بزغ السيد جمال الدين الأفغاني ، يدعو العالم الإسلامي إلى الرجوع إلى أصالته الثابتة والاستمسك بالكتاب والسنة ، حيث شرع يتنقل من قطر إلى قطر ينفخ روح الحرية والسيادة للشعوب الإسلامية .

ان هذه الحالة المزرية التي كانت سائدة في العالم الاسلامي ، لا بد ان نغير لها الاهتمام ، ونعطيهما البعد التاريخي ، فليس من السهل ان يقلب جمال الدين الأفغاني هذه الوضعية الفاسدة بين عشية وضحاها ، فلقد أدرك ان عملية التغيير عملية معقدة جدا ، وهي في حاجة الى عدة عوامل فكرية

ومادية وزمانية لقلب الوضعية الاجتماعية .

اما بالنسبة للمدرسة الجزائرية الإصلاحية فهي لا تختلف في منهجها ومشرعها عن المدرسة الأفغانية ، اللهم الا في عواملها الزمانية والمكانية التي حددت أسس طبيعتها الإصلاحية الجزائرية ، حيث وجدت أمامها عدة حواجز : منها الاستعمار الفرنسي وادواته الهدامة كالحركات التبشيرية والتسيحية والطرقية الصوفية ... الخ .

إن هذه الحركات الأخيرة ، استغلها الإستعمار لضرب المد الإصلاحية القائم على التطور مع المحافظة على أصالتها .

إلا أن هناك بعض النقاد يرون أن وظيفة المدرسة الإصلاحية انحصرت في مجال الترميم الخارجي ثم التحالف مع الإستعمار في بعض مواقفها فهذا الإتجاه تمثله المدرسة التربوية .

يقول صاحب النظرية غازي التوبة مايلي : « تتميز المدرسة الإصلاحية بأنها تتعاون مع الحكام المتسلطين وتتستر بهم ، وتستفيد من نفوذهم ثم يقول : فإصلاح الأطر في نظر المدرسة الإصلاحية ، يؤدي إلى إصلاح الواقع الفاسد ، وبالتالي إيجاد الإنسان والمجتمع الإسلامي .

ليس من شك أن هذه النظرية خاطئة فتطویر الأزهر والبرامج ، وإصلاح المساجد والمحاكم .. الخ ، كل هذه الأطر تلمس خارج الإنسان «ظاهرة» ، ولا تمس جوهره «داخله» ، وهي إن نجحت في التغيير فذات أمد وأثر محدودين .

إن كل جهد في إصلاح الواقع الفاسد ، يضع سدى مالم يتجه إلى تربية الإنسان أولا روحا وعقلا وجسدا ، وإلى بناء ذاته عقيدة وأخلاقا» (1) .

نحن نقول للسيد غازي التوبة ، إن هذا الحكم قد يصدق على البعض ، ولكن لا يصدق على كل أعلام الإصلاح ، لأن القاعدة المنطقية تقول - إذا صدق البعض فلا يصدق الكل - بالضرورة ، ولا ادل على ذلك من أعلام الإصلاح الجزائريين الذين لا قوا الأذى والسجن ، والنفي والإغتيال ، بل إن الحركة الإصلاحية الجزائرية تعد في نظر فرنسا حركة جهادية تستهدف تقويض دعائمه في الجزائر .

يقول بوصفصاف عبد الكريم : «وقد أكد الساسة الفرنسيون أنفسهم بأن جمعية العلماء جمعية سياسية في ثوب ديني ، وأنها تستر القومية بستر ديني ، وتخفي الوطنية بغطاء العلم والعربية وأنها تعمل للجامعة العربية والإسلامية» (2) .

فهذا الحديث يجربنا أن تقدم نموذجاً حول جريدة الأمة التي قارعت الإستعمار بكل شجاعة حتى صدر عليها قرار الإعدام ، ولقد جاء في الجريدة الرسمية الإستعمارية مايلي : بقرار من وزير الداخلية بتاريخ 24 مايو 1938م تم منع تداول وعرض للبيع وتوزيع ونشر في الجزائر الجريدة العربية «الأمة» التي تطبع بالجزائر (3) .

(1) الفكر الإسلامي المعاصر - لغازي توبة - ص 79 .

(2) جمعية العلماء الجزائريين ص 323 .

(3) مع العلم أن هناك سبع جرائد أخرى صدر في حقها نفس القرار لأن أبا اليقظان صاحب الصحف لم يعرف أبدا المساومة مع الاستعمار .

في ضوء كل ما تقدم بحثه يمكن أن نقول : إن المدرسة الإصلاحية لم تبتعد عن منهجها الذي رسمته في مسيرتها الجهادية ، حيث اعتمدت على التربية العقائدية والسلوكية معا .

حيث أخذت القرآن منهجا وغاية في آن واحد لتطعيم الأجيال الناشئة بروح قرآنية .

ولنتدبر قول الإمام ابن باديس حيث يقول : « غايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها ، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها » (1) .

ومهما قيل عن الفلسفة الإصلاحية ، فإن أفكارها التي انتشرت في المجتمع الإسلامي عامة والجزائر خاصة ، تعد في نظرنا هي الشرارة الأولى في إشعال الثورات في العالم الإسلامي كالثورة العربية والثورة الجزائرية .

وأما من يقول : إن هذه الحركة الإصلاحية لم تمس جوهر الإنسان - أي عقيدته وسلوكه العام بل اعتمدت على عملية الترميم والمسح . فإن هذا الحكم في نظرنا فيه إجحاف وإنكار لدورها التربوي والاجتماعي التي قامت به - ولولا هذه المدارس الإصلاحية لاندثرت مقومات شخصيتنا الإسلامية المتمثلة في إيماننا العميق بعقيدتنا وأخلاقنا القرآنية التي كانت تتحدى أخلاق الإغتراب والردة والإنسلاخ .

إن هذه الحقيقة لا يمكن طمسها بأي حال من الأحوال ، مهما اختلفت وجهة النظر بين الاتجاه الإصلاحي والاتجاه التربوي - أي القرآني - ومهما كان الأمر ، فإن هناك تداخلا إلى حد كبير بين المدرسة الإصلاحية والمدرسة القرآنية والتي سنشرح أسس مقولاتها في الصفحات القادمة بحول الله .

(1) جريدة البصائر عدد 11، 103 مارس 1938م نقلا عن أبي الصفصاف عبد الكريم - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص 322 .

- الفصل الخامس -

المدارس القرآنية
في
الفكر الاسلامي المعاصر

مقدمة

لقد بينا في الفصول السابقة ، طبيعة المدارس التحريفية وعلاقتها بالحركات الهدامة ، ووضحنا العلاقة الوثيقة القائمة بينها ، فتوصلنا الى النتيجة المنطقية المقبولة وهي ، ان الدعوات والاهداف قد مهدتها سابقا الحركات الهدامة ، وقننا بانتقاد هذه الفلسفات التي تتنافى ، وتتناقض مع أصالة الاسلام .

واكدنا في الأخير أن هذا التيار انحراف خطير في مسيرة الاسلام ، ويعد ضربة قاصمة في مبادئ الاسلام ، غير ان الاسلام قد عرف هذه التيارات التحريفية منذ القديم ، بدءاً بالزعات الباطنية التي اوجدها الحركات المايجوسية واليهودية والاحادية ، ورغم هذا فقد حفظت مبادئ الإسلام الشائخة متحدة هذه النحل الفاسدة ، وذلك بفضل حماة القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ الذي قال في شأن هذين المصدرين : تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي .

ومن هذا المنطلق الثابت ، فقد وجدت المدارس التحريفية ، والحركات الهدامة ، وذلك بفضل المدارس الإصلاحية والقرآنية اللتين بينتا تهاافت الفكر التحريفي أمام سلامة رسالة الاسلام .

التعريف بالمدارس القرآنية

لقد نادى بالرجوع الى القرآن الكريم ، وتطبيقه تطبيقاً عملياً ، في حياة الانسان ، لأنه يحمل النظرة الشاملة لطبيعة الانسانية ، فهو يعترف بدوافعه وطبيعته الثابتة ، ويحطم جميع مظاهر الجبروت والتسلط ، فلا يعترف الا بسلطة الله عزوجل ، لتحقيق العدالة المثالية التي ينشدها كل إنسان عبر الحضارات البشرية التي فشلت في تحقيقها . ومهما يكن من أمر ، فان المدرسة القرآنية ترى أن العقيدة تتمثل في حلها ،

وذلك بقلب وإصلاح عقيدة المسلمين من الداخل إصلاحاً كاملاً ليتجلى أثرها الفعال في حياتهم اليومية لتحقيق المجتمع المسلم المرتبط بالمنهج القرآني ، الذي جسده رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم .

فهذه النظرة الجديدة ، تعد مكملة للمدرسة الإصلاحية إلا أنها تختلف معها في المنهج ، فهي ترى أن المدارس الإصلاحية قامت بعملية الإصلاح من الخارج ، وذلك بإصلاح الفرد ومؤسساته ولكن الامر في نظرها يتطلب قلب القيم الاعتقادية من الداخل ؛ يقول غازي التوبة : فإصلاح الأطر - في نظر المدرسة الإصلاحية - يؤدي الى اصلاح الواقع الفاسد ، وبالتالي ايجاد الانسان والمجتمع الإسلامي .

ليس من شك في ان هذه النظرية خاطئة فتطوير الازهر والبرامج ، واصلاح المساجد والمحاكم ، وتشكيل الجمعيات ، وعقد المؤتمرات وانشاء الكومنولث الخ .

كل هذه الاطر تلمس خارج الانسان ، «ظاهرة» ولا تمس جوهره «داخله» ، وهي ان نجحت في التغيير فذات امد وأثر محدودين . ان تغيير المجتمع الفاسد ، قلبه عملية كهربائية داخلية تنبثق من ذات الانسان ، فتفجر المحيط وتشحن بتيار حياتي جديد (1) .

وفي اطار هذا المفهوم الجديد في الفكر الاسلامي المعاصر انبعثت المدرسة القرآنية بزعامة الامام ابي الاعلى المودودي وحسن البناء .

أ - المدرسة المودودية

نسبة إلى الاستاذ الكبير ابي الاعلى المودودي (2) الذي اسس الجماعة الإسلامية في باكستان وقد رد للإسلام اعتباره ويعد رائد المدرسة القرآنية

(1) الفكر الإسلامي المعاصر ص 79 .

(2) أبو الأعلى المودودي : يعد أعظم مفكر مسلم في هذا القرن =

التي تناهض جميع التيارات الدخيلة في الاسلام سواء كانت رأسمالية او شيوعية او علمانية او تحريفية .

ولقد اسس مدرسة كبرى ، يواجهه الآن تلاميذه تحديات الفكر الاجنبي في العالم الاسلامي . وذلك بفضل تصانيفه الكثيرة القيمة منها : مجلة ترجمان القرآن - شهادة الحق - الدين القيم - الاسلام والجاهلية - الجهاد في سبيل الله - الربا - الحجاب - تفسير سورة النور - نظرية الاسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور - حركة تحديد النسل موجز تاريخ تجديد الدين وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم - الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية - نحن والحضارة الغربية - مسألة ملكية الارض .

والجدير بالذكر ان هذه المؤلفات تتميز بالتوليد والأصالة والاستنتاج الصحيح حول قضايا العصر ، وأعطى للفكر الإسلامي دوره ، داعياً إلى محاربة الجمود الفكري الذي يتنافى مع أصالة الإسلام ودعا في مؤلفاته إلى تربية الانسان المسلم وبنائه من جديد ، انطلاقاً من عقيدته الذاتية قبل كل شيء .

= ومن الرواد الذين ساهوا في البعث الإسلامي ولا سيما في القارة الهندية . لقد ولد هذا العالم المجتهد في 25 سبتمبر سنة 1903م ، في مدينة أورناك آباد بالهند . وهو لم يزاول التعليم الجامعي ، بل تخرج من التعليم الثانوي فقط . إلا أن الله عز وجل قد وهب له ذكاء حادا ، وحافظة قوية وقلماً فياضاً استطاع أن يساهم به في مجال الدعوة الإسلامية ، حتى أمسى مؤسس الجماعة الإسلامية في القارة الهندية . وقد توفي - رحمه الله - في 23 ديسمبر 1978م في لاهور بباكستان ، حيث ترك آثاراً قيمة لاسيما مجلته المشهورة - ترجمان القرآن - .

المودودي رائد المدرسة القرآنية :

ان القارئ حينما يدرس مؤلفات حسن البنا ، والسيد قطب ومحمد قطب ، يشعر شعورا قويا ان هناك علاقة قوية بين الاتجاه المودودي وحسن البنا ، وتلاميذه فهؤلاء كلهم يركزون على الجانب العقائدي .
فهؤلاء يرون ان الاساس السليم لبناء المسلم القوي يعتمد على العقيدة الصحيحة فكل اصلاح وتغيير للبنات الاجتماعية ، مهما كانت طبيعتها سواء كانت فكرية واجتماعية او اقتصادية او سياسية يجب ان تطلق من قلب المسلم وذلك بتطهيره من الاخلاق الفاسدة وغرس فيه العقيدة الإسلامية القوية وتفجير القوة الكامنة فيه ، وعنها سوف يتحدد سلوكنا مهما كان .
ان ابا الاعلى المودودي ، قد اعطى العقيدة الاسلامية دورها الحقيقي الجوهري الفعال لتغيير وقلب الانماط السلوكية الموجودة اليوم في العالم الاسلامي الذي لا يزال تحت تأثير الاستلاب الرأسمالي الغربي أو النظام الشيوعي.

وهذا العالم الاسلامي ، يجب عليه الرجوع الى تاريخ الرسول ﷺ لنأخذ منهم العبرة التاريخية الناجحة كيف بدأ ينشر ويدعو الى العقيدة الاسلامية ، فكانت هذه القضية هي القضية الجوهرية الحاسمة التي ضحى الرسول ﷺ بكل شيء في سبيل تكوينها وتهذيبها من المؤثرات الجاهلية القديمة .

وكان يدعو قومه دوما بان يؤمنوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، فهذه الشهادة تعد الحد الفاصل بين عالم الجاهلية وعالم الاسلام .
فاذا حققت هذه العقيدة الصحيحة مفعولها الاجابي في قلب المسلم فانه يقوم بقلب جميع القيم والمقولات التي تتناقض مع الاسلام ، فلا يؤمن الا

بما جاء في الكتاب والسنة وكل ما خالف هذا يعد خروجاً عن صراط الاسلام ، فالملتجع الإسلامي الصحيح لا يتحقق الا من خلال العقيدة الاسلامية الصلبة ليصحو من التيارات الدخيلة ، يقول ابو الاعلى المودودي في توضيح فكرته مايلى :

وهذه الكلمة - أي الايمان - ب لا اله الا الله ، تشجع الانسان وتملأ قلبه جرأة .

وذلك ان الذي يحين الانسان ويوهن عزمه شيآن : حبه للنفس والمال والاهل ، او اعتقاده ان هناك احدا غير الله يميّت الانسان ، وانه قادر على ان يدراً عن نفسه الموت بحيلة من الحيل فايما المرء ب لا اله الا الله ينزع عن قلب الانسان كلا من هذين السببين ويطهره من ادراجه كل التطهير ؛ ينزع الاول بان يجعله موقناً ان الله هو المالك الوحيد لنفسه وماله ، ومستعد ان يضحي في سبيل مرضاته بكل غال او رخيص عنده . وينزع الثاني بانه يلقي في روعه ، انه لا يقدر على سلب الحياة من انسان ولا حيوان ولا قنبلة ولا مدفع ، ولا سيف ولا حجر ولا خشب ، وانما يقدر على ذلك الله وحده وهو قد عين لموته وقتاً لا تقدر قوى الدنيا جمعاء ان تستعجله اليه .»

ومن اجل ذلك لا يكون في الدنيا اشجع ولا اجراً ممن يؤمن بالله تعالى وحده ، فلا يكاد يخيفه او يثبت في وجهه زحف الجيوش ولا السيوف المسلولة ولا مطر الرصاصات والقنابل فإنه عندما يتقدم في سبيل الله في الجهاد يهزم قوة تزيد على قوته بعشر مرات وأتى بمثل هذه القوة للمشركين والكفار والملحدين ، الذين يعتبرون نفوسهم اعز شيء لديهم ، والذين يعتقدون ان الموت يقبل بإقبال العدو ويدبر بإدباره (1) وفي نص

(1) أبو الأعلى المودودي - مبادئ الإسلام ص 96/97 المكتب الاسلامي - دمشق -

آخر يقول الاستاذ ابو الاعلى المودودي :

ان الدين الاسلامي ليس بعقيدة فحسب ، ولا هو مجموعة لعدد من الاعمال والطقوس الدينية ليس الا ، بل هو برنامج تفصيلي لحياة الانسان الكاملة . ليست العقائد والعبادات ومبادئ الحياة العملية وضوابطها فيه اشياء مختلفة منفصلة بعضها عن بعض ، بل تتلاحم هذه كلها فيه وتؤلف مجموعة لا تقبل التجزئية ، وكون بين اجزائها كمثل الارتباط الذي يكون بين اعضاء الجسم الحي .

وهكذا الحال مع الإسلام . فالعقائد منه بمنزلة القلب ، وما ينشأ عنها من اسلوب التفكير ونظرية الحياة ومقصد الوجود ومقياس القيم هو منه بمنزلة المخ (1) .

ان هذا النص الاخير يبين لنا ان هناك علاقة عِلَية بين العقيدة وحياة الانسان الكاملة ، فهي التي تدفعه نحو القيم الاخلاقية وتقوم بوضع الضوابط الاخلاقية والاقتصادية والسياسية .

وهكذا نحن في حاجة الى هذه العقيدة التي تنظم سلوكنا العام فاذا صلحت صلح الانسان بكامله .

مكانة الدستور القرآني في الفكر المودودي .

لقد كان المودودي ، ذا اتصال بالثقافة الغربية عن طريق احتكاكه بها من خلال كتبها ومجلاتها وجرائدها واسفاره .

وهذا الاطلاع الموضوعي الشامل ، قد بين له ان هذه الحضارة في حالة الانتحار رغم التقدم العلمي الكبير ، فهذا يعود الى ازدواجية الحضارة الغربية التي لم تستطع ان تعالج قضايا العصر ، بل انها فشلت فشلا ذريعا في حلها .

(1) ابو الأعلى المودودي - نحن والحضارة الغربية - ص 316 - 317 دار الفكر .

ومن غير شك ان علتها . تكن في الفصل بين العنصرين ، العنصر التقني الخالص الذي يستهدف الى تحقيق المنفعة المادية الخالصة ، مع ابراز العنصر الحربي العدواني بين الامم أما العنصر الاخلاقي فقد اهل دوره في المجتمع الغربي ، ومن خلال هذه الثنائية امسى العالم الغربي يعيش في ازمة حادة .

ومن هذا المنطلق الفكري فان أبا الأعلى المودودي يرى ان المجتمع البشري مهما كان نصيبه من العلوم التقنية والفنون ، فلن يتخلص من عواطفه الحيوانية ، ما لم يطبق كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ليظهر الانسانية من أدرانها الفاسدة - ومن هنا نقول : ان القرآن الكريم قد اشتمل على الاحكام العامة في ما يتعلق بالعقيدة والاخلاق والمعاملات الانسانية ، فقد وضع القواعد العامة للحضارة الاسلامية . ولذا اصبح القرآن مقياسا لأحكامنا ، وبه نجيز ما نجيزه ونرفض ما نرفضه ، بذلك تتحدى به المذاهب الانسانية المعاصرة والقوانين الوضعية التي لا تزال تتخبط خبطة عشواء في تجاربها ، وإذا حققنا هذا الهدف النبيل فسنحقق بالتالي منهاج السعادة البشرية القائم على العدالة المتمثلة في القرآن الكريم .

يقول ابو الاعلى المودودي : « فأول مصدر من مصادر الدستور الاسلامي هو القرآن وقد بين الله تعالى فيه احكامه وقواعد شريعته . وهذه القواعد شاملة لجميع شؤون الحياة البشرية وهي لا تتضمن هداية الانسانية في اعماله الفردية وسيرته الشخصية ، فحسب بل تتضمن ايضا مبادئ اساسية واحكاما قاطعة لاصلاح كل الشعوب وكذلك قد اوضح للمسلمين فيها كل ما يحتاجون إليه من المبادئ الهامة ، والمصدر الثاني من مصادر الدستور الإسلامي هو سنة الرسول ﷺ التي يتبين بها كيف قام النبي ﷺ بتنفيذ احكام القرآن ومبادئه في ارض العرب ، وكيف افرغ

فكرة الاسلام في قالب العمل ، وكيف تشكل مجتمعا إسلاميا على اساس هذه الفكرة ، ثم كيف نظم هذا المجتمع وابرزه في صورة دولة كاملة ، وكيف عني بتسيير الشعب المختلفة لهذه الدولة فكل هذه الأمور وأمثالها لا نعلمها ولا يمكن ان نعلمها الا من السنة النبوية وحدها ، وبها نعرف وجهة القرآن الحقيقية فكأنها ، انطباق لمبادئ القرآن على الاحوال العملية يزودنا بسوابق ثينة للدستور الإسلامي ، ونحصل به على مجموعة مهمة كبيرة للتقاليد الدستورية(1) .

ابو الاعلى المودودي والقاديانية :

ان المودودي يمثل التيار القوي المناهض للغرب والشرق على السواء وكشف لنا ، المخططات الاستعمارية التي تحاول إذابة أصالة الاسلام من خلال المدارس التحريفية التي صنعها الاستعمار .

ومن هنا نود أن نعيد الى الذاكرة الموقف العلمي الحاسم الذي وقفه ابو الاعلى المودودي مع النحلة القاديانية الخارجة عن ملة الاسلام ، فقد ابطل وفند مزاعم القاديانية في كتابه القيم-ماهي القاديانية؟- حيث درس هذه المدرسة دراسة شاملة نقدية معتمدا على الأدلة النقلية والعقلية مع تحليل مصادرها و بيان تهافتها امام الحقيقة العلمية والحقيقة التاريخية .

وهذه الدراسة الموضوعية قد كشفت القناع عن وجه القاديانية ومخططاتها التخريبية . ولقد برهن من خلال مصادرها ، على انها مرآة صادقة لمد الاستعماري وكان لهذا الانحراف اثره في الفكر الاسلامي المعاصر

(1) - نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون ، والدستور

وأوقف أبو الاعلى المودودي قلمه للدفاع عن اسلامه اليومي عن سلامة الإسلام الصحيح فقوض بذلك أصول المدرسة القاديانية وأظهر أن مقولاتها هي انعكاس للاستعمار البريطاني الذي يريد أن يخلق فجوة في الإسلام يقول أبو الاعلى المودودي ما يلي :

يقول الميرزا غلام احمد نفسه في كتابه البرية - ص - 3 - لم تبخل عائلتي ولم تضن بدماء ابنائها في خدمة مصالح الحكومة الانجليزية أبدا .
ويقول بشير الدين محمود احمد مخاطبا الامير ولي العهد :

يا نجل ملكنا المعظم وولي عهد المملكة البريطانية : انا إمام الجماعة الاحمدية ، وخليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام ارحب بك بالنيابة عن افراد الجماعة الاحمدية أجمعين عند زيارتك الهند ، وأؤكد لك بأن الجماعة الأحمدية هي وفية للحكومة البريطانية وستبقى وفية لها ان شاء الله تعالى(1) .

والى هنا نستطيع أن نقول : إن ابا الأعلى المودودي قد بين وادرك مخططات الاستعمار ومدارسه ، وركز على نقد مصادرها واستنتج ان الهدف واحد ، فهو تقويض اركان الاسلام وخلق الانشطارية في الشخصية وذلك في الفصل بين القول والعمل ولعل من المناسب ان نذكر ان مؤلفات المودودي تدعو الى عدم الفصل بين القول والعمل ، فهو يريد قبل كل شيء افراغ الاسلام في قالب العمل ليشمل الحياة العقائدية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . إن الشعور وحده لا يكفي ، فلا بد أن يتجلى الاسلام في سلوكنا العام والرسول ﷺ يقول : ليس الايمان

(1) - ما هي القاديانية ؟ ص 12 - 13 .

بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل .
وتجدر الإشارة هنا ، الا ان هذه الافكار الشورية قد أثرت في العالم
الاسلامي ووجدت ارضية جديدة في المدرسة البنائية بزعامة الامام حسن
البناء وأنصاره السيد قطب ومحمد قطب وغازي التوبة ، وعبد القادر
عودة .

ب - المدرسة البنائية :

التعريف بصاحب المدرسة :

إن المدرسة البنائية نسبة الى الامام حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البناء
المولود بمدينة المحمودية قرب الاسكندرية سنة 1906م (1) .
نشاطه الفكري : حين تخرج من مدرسة دار العلوم بالقاهرة سنة
1927م ، عين بعد حين مدرسا في مدينة الإسماعيلية ، الا ان مهنة
التدريس ارتبطت عنده دوما بعملية التهذيب والتوعية نحو المثل
الاسلامية ، وأمسى داعيا أفراد مجتمعه الى العمل بما جاء به الاسلام والتسك
بكتاب الله وسنة الرسول .

وعدم الفصل بين القول والعمل ، ويعرف الاسلام بأنه : عقيدة وعبادة
وطن وجنسية ، وسماحة وقوة وخلق وثقافة وقانون . وكان له تأثير قوي
على جميع الطبقات الشعبية ، حيث يرى ان هناك تيارات دخيلة على
أصالة الاسلام ، وان إسلام اليوم بعيد كل البعد عن الاسلام الصحيح
القوي ، بسبب الانشطارية بين القول والعمل ، وتتجلى هذه الازدواجية
في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية ، فهذه الظواهر

(1) - مجموعة الرسائل للامام الشهيد حسن البناء ص 5.

الانسانية لا يجب افراغها من قلبها الاسلامي الاصيل . يقول الاستاذ حسن البنا في هذا الشأن : نحن نعتقد أن احكام الاسلام وتعاليمه شاملة تنظم شؤون الناس في الدنيا وفي الآخرة ، وان الذين يظنون ان هذه التعاليم انما تتناول الناحية العبادية او الروحية دون غيرها من النواحي ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ومصحف ، وسيف ، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ، ويعتبره من لب الإسلام ، ومن صميمه ، ويوصي بالإحسان فيه جميعه ، والى هذا تشير الآية الكريمة : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصاص : 77) .

وهكذا قام حسن البنا بقلب الفكر الاسلامي المعاصر وذلك بالرجوع الى اصوله الاساسية وادرك بفكره الشاقب ان الاسلام عقيدة وعمل ، فلا فصل بينهما .

أصول مدرسة حسن البنا :

وايا كان الامر ، فعلينا ان نذكر منهجه الاسلامي ، حيث انه ربط بين العقيدة والعمل وبين الروح والجسد وبين العلم والدين ، وبين الاجتهاد الفقهي في الاسلام لا يكون علة للتفريق في الدين وحذر من اطلاق كلمة الكفر على المسلم إذ يقول حسن البنا فيما يلي :

ان توقن بأن فكرتنا اسلامية صمية وان تفهم الاسلام كما نفهمه في حدود هذه الاصول العشرين الموجزة كل اليجاز :

1 - الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة او رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون او علم وقضاء وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش

وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة .

2 - والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف احكام الاسلام ، ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكليف ولا تعسف ويرجع في فهم السنة المطهرة الى رجال الحديث الثقة .

3 - وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ولكن الالهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من ادلة الاحكام الشرعية ولا تعتبر الا بشرط عدم اصطدامها باحكام الدين ونصوصه .

4 - والتأتم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته الا ما كان آية من القرآن او رقية مأثورة .

5 - ورأى الامام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوها عدة وفي المصالح المرسله معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات ، والأصل في العبادات الالتفات الى الاسرار والحكم والمقاصد .

6 - وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم عليه السلام وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب ، والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله اولى بالاتباع - ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه ، بطعن او تجريح ونكلهم الى نياتهم ، وقد أقضوا إلى ما قدموا .

7 - ولكل مسلم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية ان يتبع إمامًا من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع ان يجتهد ما استطاع في تعرف الأدلة وان يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده من ارشده وكفايته وان يستكمل نقصه العلمي ان كان من اهل العلم حتى يبلغ

درجة النظر .

8 - والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين ولا يؤدي الى خصومة ولا بيفضاء ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي التنزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول على الحقيقة من غير ان يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب .

9 - وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعا ، ومن ذلك كثرة التفريعات للاحكام التي لم تقع ، والخوض في معاني الايات القرآنية الكريمة ، التي لم يصل اليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ولكل منهم فضل صحبتة وجزاء نيته وفي التأول مندوحة .

10 - معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ولا تتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ؛ ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا (آل عمران : 7) .

11 - وكل بدعة في دين الله لا أصل لها : استحسناها الناس بأهوائهم ، سواء بالزيادة فيه او النقص منه ، ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي الى ما هو شر منها .

12 - والبدعة الاضافية والتزكية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكل فيه رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

13 - ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة الى الله تعالى والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ، والكرامة الثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا في حياتهم او بعد مماتهم فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم .

14 - وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية الماثورة ، ولكن الإستعانة بالمقبورين أيا كانوا وندائهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب وبعد والنذر لهم وتشديد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا تتأول لهذه الاعمال سدا للذريعة .

15 - والدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء ليس من مسائل العقيدة .

16 - والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصودة بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

17 - والعقيدة أساس العمل وعمل القلب اهم من عمل الجارحة وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا وان اختلفت مرتبتا الطلب .

18 - والاسلام يحجر العقل ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

19 - وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ، ولكنها لن يختلفا في القطعي فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ويؤول الظني منها ليتفق مع القطعي ، فإن

كان ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي او ينهار .
20 - لا تكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وادى الفرائض ،
برأي او معصية ، إلا أن يقر بكلمة الكفر ، او انكر معلوما من الدين
بالضرورة او كذب صريح القرآن او فسره على وجه لا تحتمله اللغة العربية
بجمال ، او عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر .
وإذا علم الأخ المسلم دينه في هذه الأصول فقد عرف معنى هتافه دائما ،
القرآن دستورنا والرسول قدوتنا (1) .

المدرسة البنائية ودورها في التربية الاجتماعية :

إذا انعمنا النظر في هذا المنهج الجديد نلاحظ ان هذه المدرسة شرعت
تجني ثمارها وذلك بالفرض الكلي للحلول الوسطى في معالجة القضايا
الإسلامية .

وترى ان الحل الاسلامي الاصيل هو الذي يزيل كل مظاهر التناقض
في العالم الإسلامي .

وحسبنا ان نذكر هنا ان هذه المدرسة قد انتشرت فكرتها التربوية في
العالم الإسلامي ، عن طريق مقالات وكتب أعلامها ، لا سيما السيد
قطب ، ومحمد قطب ، وعبد القادر عودة ، هذه الاثار الفكرية تتميز بروح
التجديد والتوليد والأصالة وهي تعبر تعبيرا صادقا وامينا عن نفسية المسلم
المرتبط بمنهج القرآن والحديث الشريف .

(1) - مجموعة الرسائل للامام حسن البنا ص 11 - 16 .

لاشك أن هذه المدرسة قد قامت بصيانة المجتمع الإسلامي من الزيغ والاحاد والانحراف وقامت بتوثيق وتعميق الروابط الاخوية بين المسلمين من خلال منهج القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقاومت الاستعمار الصهيوني في فلسطين الإسلامية ، فكانت كتيبة الاخوان في حرب فلسطين الاولى عام 1948م ، من انشط الكتائب المتطوعة ، حيث خاضت حرب فلسطين بكل بسالة وشجاعة وامست فكرة الجهاد جزء من سلوكهم اليومي وكادت هذه الكتيبة ان تدخل ابواب تل أبيب لولا الخيانة العربية وعلاقتها بالاستعمار .

ولقد جاء في الموسوعة العربية مايلى :

اشتركت كتيبة من الاخوان في عمليات فلسطين فأبليت بلاء حسنا .
والى هنا نستطيع ان نقول : ان مدرسة حسن البنا تهدف إلى اعداد المسلم الصالح جسميا وروحيا واجتماعيا ، وتكوين المجتمع الاسلامي العادل الذي تسوده الأخلاق القرائية . وقد ترك حسن البنا مدرسة لها منهجها وفلسفتها في معالجة قضايا المجتمع الانساني ويقول الاستاذ سيد قطب في شأن زعيم هذه المدرسة : في بعض الاحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور ، وحكمة مدبرة في كتاب مسطور ... حسن البنا ... انها مجرد مصادفة ان يكون هذا لقبه ، ولكن من يقول : انها مصادفة ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء ، وحسن البناء بل عبقرية البناء ؟

ويمضي حسن البنا الى جوار ربه يمضي وقد استكمل البناء أسسه ، يمضي فيكون استشهاده على النحو الذي أريد له : عملية جديدة من عمليات البناء

... عملية تعميق للأساس ، وتقوية للجدران ، « ومهما يكن من امر ،
فان هذه المدرسة قد تركت انعكاسات ايجابية على الصحة الاسلامية وبدأ
المسلم يعي ذاته وادرك ان الحل الاسلامي هو الحل الوحيد لإزالة جميع
مظاهر التناقض في بيئته الاسلامية الاجتماعية .

ج : المدرسة القرآنية في الميزان :

وفي ضوء هذه المدرسة القرآنية ، لا بد أن نشير إلى أن هناك بعض الأشخاص - المرضى نفسيا - ، يتهمون وينعتون كل من يدعو إلى تطبيق الإسلام في الحياة العامة تطبيقا عمليا ، بالرجعية والتطرف والجمود الفكري ولا نعتقد أن أي مسلم معاصر أو أي عالم ، مهما كانت عبقريته الفكرية وتبريراته المنطقية أن يقول : أن الإسلام لم يعالج المشكلات العقائدية ، والفردية ، والاجتماعية ، والدولية في الكتاب والسنة .

فإذا أراد المسلمون اليوم النهضة الصحيحة والقوية ، عليهم بالرجوع مرة أخرى إلى أصولهم الحقّة التي يمثلها القرآن الكريم والسنة ، وسيرة الصحابة - رضي الله عنهم - .

إن هؤلاء قد أدركوا أشد الإدراك أن الإسلام والإيمان ، والدين أسماء لشيء واحد : وهو طاعة الله تعالى ، ثم تطبقوا الإسلام كليا ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتوه .

فإن عملنا بهذا السلوك العملي ، فلا شك نزيل عن أنفسنا الإزدواجية التي أوجدها الإستعمار وعملاؤه ومدارسه في عالمنا الإسلامي هذا . وتتجنب التفكير التحريفي ، وأن يحل الإسلام الصحيح الصادق الثابت محل الاتجاهات التلفيقية .

وهكذا فإن المدرسة القرآنية تدعو دوما إلى هذه الفكرة العملية ، ولا جرم أن منهجها يعد إنعكاسا لأصالة الإسلام الصحيح .

ولعل هذه الفلسفة العملية تتجلى في تفسير القرآن الكريم - في ظلال القرآن - للسيد قطب .

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التحليلية ، نستطيع أن نقول : أن هذه الدراسة قد سلطت أضواء نقدية موضوعية على جميع المدارس الفكرية التي ظهرت في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر . وبينت المدارس الأصلية المعتمدة على المنهج القرآني ، ولم تهمل كذلك المدارس التحريفية التي نسبت إلى الإسلام تعسفا ، من قبل الإستعمار وعملائه والمبشرين .

والهدف من كل هذا ؛ هو تحريف ، وتزييف جوهر الإسلام الأصيل .

إن رسالة الإسلام لها مقوماتها الجوهرية المستمدة من الكتاب والسنة .

ومهما كانت التحريفات والتبريرات في واقع العالم الإسلامي ، فإن الجماهير الإسلامية المؤمنة بالمنهج القرآني لن ترضى إلا بالحل الإسلامي الذي سيزيل عنها كل مظاهر التناقض الموجود بين القول والفعل . وبهذا المنهج القرآني نزيل عن الأمة الإسلامية كل مظاهر الإنشطارية ماضيا ، وحاضرا في مسيرتها الحضارية .

والواقع التاريخي أثبت أن العالم الإسلامي ؛ قد شهد عدة إيديولوجيات متناقضة في ساحته ، إلا أنه بقي صامدا ومتحديا إزاءها ، وذلك بفضل أصالته الإسلامية القوية الثابتة .

وإلى هنا نقول أن هذه الدراسة قد ساهمت في كشف ، وبلورة التيارات التحريفية التي ظهرت على المسرح الإسلامي ، وبينت جذورها المرتبطة بالحركات الإستعمارية ، وكان للمدارس السلفية والإصلاحية ،

والقرآنية دور فعال في توضيح ، وتأصيل وعي المسلمين بهويتهم الجوهرية القائمة على القرآن الكريم الذي جعل حدودا فاصلة بين المسلمين وغير المسلمين .

والجدير بالملاحظة أن هذه الدراسة ماهي في الواقع إلا مدخل فقط للمدارس التي بينا أسس فلسفتها العامة .

وإن هذه الدراسة ما تزال بكل يقين إلى تحليل وتوسيع أكثر وأعمق . وبالرغم من هذا ، فإنها قدمت صورة واضحة ومشرقة عن أصول هذه المدارس ، فمن يريد المزيد فعليه بالرجوع إلى المصادر التي أشرنا إليها.

وأخيرا نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا
العمل خالصا لوجهه الكريم ، إنه ولي الحماة
رسالة الإسلام ، وبيده التوفيق والنصر ، إنه
نعم المولى ونعم النصير آمين .

غرداية / غرة محرم ١٤٠٥ هـ

الموافق لـ 1984/10/26م

مصادر البحث

- القرآن الكريم .
- البايون والبهايون ط 3 بقلم السيد عبد الرزاق الحسيني . مطبعة العرفان - صيدا - لبنان .
- ابو اليقظان وجهاد الكلمة . لمحمد ناصر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر .
- الإسلام . لهنري ماسية - ترجمة بهيج شعبان - منشورات عويدات - بيروت - لبنان .
- البهائية . إشراف المحفل الروحاني المركزي للبهائيين - مطبعة رمسيس - القاهرة .
- تاريخ الشعوب الإسلامية . ج 5 - كارل بروكلمان - ترجمة نبيه أمين فارس . منير البعلبكي - دار العلم - بيروت .
- تاريخ الصحافة في الجزائر . ج 6 - الزبير سيف الإسلام - مطبعة النسر - القاهرة .
- الجامع الفريد . مجموعة رسائل لأئمة الدعوة الوهابية - مطبعة المدينة - الرياض .
- جمال الدين الأفغاني . لعبد الرحمن الرافعي - الدار المصرية - القاهرة .
- جمعية العلماء المسلمين . ابو الصفصاف عبد الكريم - دار البعث - قسنطينة .

- حقيقة البابية والبهائية. لمحسن عبد الحميد - المكتب الإسلامي - دمشق.
- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية . لعبد الله التل - المكتب الإسلامي - دمشق .
- كتاب الآداب الماسونية . لشاهين بك ماكربوس - مطبعة المقتطف - مصر سنة 1895م.
- ما هي القاديانية ؟ . لأبي الأعلى المودودي - دار القلم - الكويت .
- مبادئ الإسلام . لأبي الأعلى المودودي - المكتب الإسلامي - دمشق .
- معجم أعلام الجزائر . عادل نويهض - مؤسسة نويهض للثقافة - بيروت .
- مجموعة الرسائل للإمام الشهيد حسن البنا . مؤسسة الرسالة - بيروت .
- المستشرقون والإسلام . عرفان عبد الحميد - مطبعة الإرشاد - بغداد .
- المسلمون أمام التحدي العالمي. إحسان حقي - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- منطق ابن تيمية . ت محمد حسن الزين - المكتب الإسلامي - دمشق .
- مصطفى كمال أتاتورك . حلمي مراد - دار المعارف - مصر .
- اليهودية والصهيونية وإسرائيل . عبد الوهاب المسيري - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .
- الخطر اليهودي «بروتوكولات حكماء صهيون» ت محمد خليفة - دار الكتاب العربي - بيروت.
- شبهات التغريب - أنور الجندي - المكتب الإسلامي - دمشق .
- العقيدة والشرعية في الإسلام - لأجناس جولد تسيهر - دار الكتب الحديثة - القاهرة .
- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا - أنور الجندي - الدار القومية - القاهرة .
- القاديانية للمودودي. مكتبة دار البيان - الكويت .
- القرامطة للامام عبد الرحمن الجوزي - المكتب الإسلامي - دمشق .

الدوريات

- الهلال - أفريل 1977 م .
- منار الإسلام العدد 11 السنة الثامنة ذو القعدة 1403 هـ .

الفهرس

8. مقدمة

الفصل الأول

13. الإسلام أمام تحديات الحركات الهدامة

أ - الحركة الماسونية :

15. الماسونية مؤامرة على الإسلام

15. 1 - مدلول الماسونية وتاريخ نشأتها

17. 2 - ملاحظة لا بد منها

18. 3 - الدستور الماسوني مؤامرة على الإنسانية

19. 4 - اعتراض ونقد

21. 5 - الماسونية والدين

21. 6 - الماسونية حليفة الصهيونية

23. 7 - الماسونية حليفة الشيوعية

23. إن توحيد الأديان على حساب الإسلام مؤامرة ماسونية

26. خلاصة الفكرة

الحركة الصهيونية :

27. ● مقدمة

27. ● عروبة فلسطين

29. ● مدلول الصهيونية

29. ● هدف الصهيونية

30. ● لمحة عن نشأة الحركة الصهيونية

إسلام اليوم 6

- الحركة الميرتسلية وأثرها في الصهيونية المعاصرة 31.
 - الصهيونية والماسونية 34.
 - القرآن قد بين قديما خطر اليهود على الإسلام والإنسانية 35.
 - القرآن يكشف الشوفينية الصهيونية 36.
 - الإسلام هو الحل الوحيد للقضاء على الحركة الصهيونية 38.
- جد الحركة الإستشراقية :

- مفهوم الإستشراق 40.
- تاريخ الإستشراق 40.
- حركة الإستشراق والإستعمار 42.
- الإستشراق مرآة صادقة للروح الإستعمارية 43.
- الرد على شبهات كارل بروكلمان وجولد تسيهر 45.
- الحركة الإستشراقية مرحلة مدبرة لاحتواء الفكر الإسلامي 47.
- الحد المشترك بين الحركات الهدامة 49.

الفصل الثاني

المدارس التحريفية :

- أ - البابية 54.
- 1 - التعريف بصاحب المدرسة 54.
- 2 - أفكار البابية 55.
- 3 - دعائم صذهب البابية 58.
- 4 - اهتمام البابية بالرقم الرياضي 19 59.

59. 5 - البابية والإستعمار
60. ب - البهائية
60. ☆ البهائية امتداد للحركة البابية
61. ☆ الميرزا حسين علي زعيم البهائية
62. ☆ حياته الفكرية
62. ☆ مؤلفات بهاء الله
62. ☆ كتاب الأقدس الحامل للشرعية والأحكام البهائية
64. ☆ عقائد البهائية
67. ☆ البهائية والحركة الإستعمارية والصهيونية
68. ☆ المستشرقون والبهائية
70. ج - القاديانية :
70. ● علة تسمية المدرسة بالقاديانية وانقسامها
71. ● أحمد ميرزا نشأته وحياته الفكرية
72. ● ادعاءاته ونبوته المزعومة
74. ● مزاعم الميرزا غلام أحمد في النبوة
75. ● ميرزا غلام أحمد يهاجم فريضة الجهاد
78. ● علاقة القاديانية بالإستعمار والصهيونية
79. ● القاديانية والحركة الإستشراقية
82. د - المدرسة العلمانية :
82. ○ لا علمانية في الإسلام

- 83. ○ العلمانية مغالطة تستهدف تحطيم الأديان
- 84. ○ علمانية مصطفى كمال أتاتورك والإسلام
- 84. ○ الملامح العامة لشخصية مصطفى كمال
- 86. ○ العلمانية الكمالية وعلاقتها بالتيارات الماسونية والغربية
- 88. ○ تركيا الكمالية في نظر المدرسة الإستشراقية
- 89. ○ خلاصة عامة عن المدارس التحريفية

الفصل الثالث

المدارس السلفية الحديثة :

- 94. المدرسة الوهابية :
- 94. 1 - التعريف بصاحب المدرسة
- 95. 2 - ثقافته ومؤلفاته
- 95. 3 - المدرسة الوهابية وأصول دعوتها
- 99. المدرسة السنوسية :
- 99. 1 - التعريف بصاحب المدرسة
- 100. 2 - نشاطه الفكري
- 102. 3 - أسس الحركة السنوسية
- 103. المدارس السلفية في الميزان

الفصل الرابع

المدارس الاصلاحية

- 110. أ - المدرسة الأفغانية :

- ☆ جمال الدين الأفغاني وعصره 110.
- ☆ حياته الفكرية 112.
- ☆ رسالته في الرد على الدهريين 112.
- ☆ صحيفته العروة الوثقى وأثرها في العالم الإسلامي 113.
- ☆ رأيه في الإصلاح الديني والاجتماعي والاجتهاد 114.
- ☆ دعوته إلى الوحدة الإسلامية 115.
- ☆ خلاصة الفكرة 117.
- ب - المدرسة الباديسية : 118.
- ابن باديس نشأته وحياته الفكرية 118.
- جهاده وإصلاحه الديني 119.
- موقف ابن باديس إزاء الطرق الصوفية 120.
- أسس الفلسفة الباديسية 121.
- ج : المدرسة اليقظانية : 124.
- التعريف بصاحب المدرسة 125.
- جهاده 127.
- مذهبه الإصلاحية 129.
- مقاومته للتعنيس والتبشير 130.
- الشيخ ابو اليقظان وقضية فلسطين 131.
- د - تقييم المدارس الإصلاحية 133.

المدارس القرآنية في الفكر الإسلامي المعاصر :

138. التعريف بالمدارس القرآنية
- أ - المدرسة المودودية 139.
- 1 - المودودي رائد المدرسة القرآنية 141.
- 2 - مكانة الدستور القرآني في الفكر المودودي 143.
- 3 - أبو الأعلى المودودي والقاديانية 145.
- ب - المدرسة البنائية : 147.
- 1 - التعريف بصاحب المدرسة 147.
- 2 - أصول مدرسة حسن البنأ 148.
- 3 - المدرسة البنائية ودورها في التربية الاجتماعية 152.
- ج - المدرسة القرآنية في الميزان 155.
- الخاتمة 156.
- مراجع البحث 158.
- الفهرس 161.

هذا الكتاب

إن هذا الكتاب ، يعد مدخلا حيويا وهاما ، لجميع المدارس التي ظهرت في الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر ، حيث وضع الملامح العامة ، لأسس هذه المدارس معتمدا على أصول مصادرها وتحليلها ، ونقدها ، وبيان وجهة الفكر الإسلامي الأصيل فيها .

ومن خلال هذا البحث المنهجي ، سوف يدرك القارئ لا محالة ان هناك ثلاث مدارس .

أ - المدارس التحريفية تمثلها :

البهائية - القاديانية - الكمالية .

ب - مدارس سلفية وإصلاحية تمثلها :

الوهابية - السنوسية - الافغانية - الباديسية - اليقظانية .

ج - مدارس قرآنية تمثلها : المودودية والبنائية .

ومما لا شك فيه ، فان هذا البحث سوف يزيد في كشف الوثنية المعاصرة واسسها المتصلة بالحركات الهدامة ، الماسونية ، الصهيونية ، العلمانية ، الاستشراقية التبشيرية .

إنه كتاب يضع الحد الفاصل بين الحركات الاصيلية الاسلامية والحركات التحريفية التي تريد أن تنسب الى الاسلام لتعقيم روحه الثائرة باسم العلمانية والتقدمية .